عقبات

في طريق الأخوات

وكيفية التغلب عليها

تأليف

عصام بن محمد الشريف

غفر الله له ولوالديه

تقديم

محمد صالح المنجد

دار الإيمان
الإسكندرية

دار القمة
الإسكندرية

ح ١٠١٤
س ٤٤

عقبات في طريق الأخوات

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم

محفوظة
جميع الحقوق

رقم الإيداع
٢٠٠٩/٩٣٥٣

الترقيم الدولي
977-331-046-7

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون فاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٠٥٤١١٩١٠ - ٠٢٢٠٠٢-٥٢٢٢
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

عقبات في طريق الأخوات

تقديم فضيلة الشيخ

محمد صالح المنجد

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

بقلم

عصام محمد الشريف

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار القمة

لتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي

فاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٢٢٢١٠٠٢

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة فضيلة الشيخ/ محمد صالح المنجد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه وبعد. . .

فقد اطلعت على الكتاب الذي جمعه الأخ/ عصام بن محمد الشريف بعنوان (**عقبات في طريق الأخوات**) فألفيته كتابًا مفيدًا ونافعًا للأخوات المسلمات ومشتملاً على توجيهات جيدة ونصائح هادفة تنير لهن الدَّرب وتضيء الطريق.

أسأل الله سبحانه أن يوفق الأخ عصام لمزيد من الخدمة لدينه وأن ينفع به وبما سطره وأن يجعل ذلك كله خالصًا لوجهه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

محمد صالح المنجد

١٤١٧/٣/١٦هـ

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وخاتم الأنبياء محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد... يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: {إذا جرى على العبد مقدورٌ يكرهه فله فيه ستة مشاهد:

أحدها ـ مشهد التوحيد، وأن الله هو الذي قدَّره وشاءه وخلقه، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

الثاني ـ مشهد العدل، وأنه ماضٍ فيه حكمه، عدلٌ فيه قضاؤه.

الثالث ـ مشهد الرحمة، وأن رحمته في هذا المقدور غالبة لغضبه وانتقامه.

الرابع ـ مشهد الحكمة، وأن حكمته سبحانه اقتضت ذلك، لم يقدره سدى، ولا قضاه عبثًا.

الخامس ـ مشهد الحمد وأن له سبحانه الحمد التام على ذلك من جميع وجوهه.

السادس ـ مشهد العبودية، وأنه عبدٌ محضٌ من كل وجه، تجرى عليه أحكام سيده وأقضيته، بحكم كونه ملكه وعبده، فيصرفه تحت أحكامه القدرية، كما يصرفه تحت أحكامه الدينية، فهو محلٌ لجريان هذه الأحكام عليه}[1].

---

(١) «الفوائد» (ص: ٤٧).

بهذه الكلمات المباركات أقدم لأخواتي المسلمات مقدمة الطبعة الثالثة من كتابي هذا، بعد تنقيحه ومراجعته، مع بعض الزيادات في بعض الأبواب، حيث أن الطبعة الأولى كان بها أخطاء ليست بالقليلة، فللّه الحمد والمنة أن خرجت الطبعة الجديدة بهذه الصورة الطيبة.

وقد سرَّني نفاذ الطبعات السابقة، فعسى الله أن يثيبني عليه خير الجزاء، وأن يكون نبراسًا لأخواتي المسلمات في طريقهن إلى الله تعالى، وأن يكون عاملاً من عوامل ثباتهن على الدين.

وأدعوا الله أن لا ينساني كل من يقرؤه بالدعاء لي بالعفو والعافية في الدنيا والآخرة.

وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

عصام بن محمد الشريف

٨ جماد اول ١٤١٤هـ

الموافق ١٠/٩/١٩٩٧م

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيبًا مباركًا فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله ربه رحمة للعالمين، بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

ما من إنسان إلا وله غاية في هذه الدنيا، يريد أن يصل إليها، أو هدف يريد أن يحققه، ويبذل في سبيل ذلك الغالي والرخيص من الوقت والصحة والمال، وكل ما يملك ليصل إلى ما يريد.

والأخت المسلمة التي تريد أن تلتزم بالإسلام كله، ظاهراً وباطنًا؛ تطلب من وراء ذلك سلعة الله الغالية، وهي الجنة، والوصول إليها يحتاج إلى تضحية وبذل وعطاء وصبر وثبات على الطريق الموصل إليها، لأن طبيعة هذا الطريق تستلزم ذلك، بسبب ما عليه من عقبات تحول بين المسلمة وبين ما تريد أن تصل إليه.

ونحن في هذه الأيام التي يشعر فيها كل منا بغربة الدين، يحتاج إلى من يبصر بالطريق، ويأخذ بيديه ليصل به إلى بر الأمان، ويعينه بعد الله تعالى على تخطي عقبات هذا الطريق، حتى ينال ما عند الله تعالى من رضاه والجنة.

لذا فإني قد رأيت وأنا ألقي الدروس والمحاضرات على النساء في المسجد منذ ما يقرب من خمسة عشر عامًا، أن أساعد أخواتي المسلمات على تخطي العقبات التي تقف أمامهن، وهن في طريقهن إلى الله، بعرض هذه العقبات عرضًا يُبصر المريض بمرضه، ويحذر الصحيح من الآفات والأمراض، ثم أبين

لهن كيفية تخطي هذه العقبات، مسترشداً في ذلك بالأدلة الشرعية من الكتاب، والسنة الصحيحة، وأقوال أهل العلم الثقات.

لذا قسمت أبواب الكتاب إلى أربعة أبواب:

الباب الأول

سلعة الله الغالية

وتحدثت في هذا الباب عن الجنة مرغبًا فيها، ومبينًا صفتها، مكتفيًا في ذلك بذكر الآيات والأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك، دون تعليق مني أو شرح، اللهم إلا الكلمات الغريبة فقط، وقد جعلت الباب الأول في صفة الجنة والترغيب فيها، لأنها منتهى آمال المؤمنة، لذلك بدأت به حتى يكون حافزًا قويًا لها للسير على الطريق والصبر على لأوائه، وآثرت الاختصار في هذا الباب مكتفيًا بما ذكرت، حتى لا أبعد عن مقصود الكتاب، ومكتفيًا أيضًا بذكر مرجع صحيح في ذلك لكل من أرادت الاستزادة.

الباب الثاني

حفت الجنة بالمكاره

وتحدثت في هذا الباب عن طبيعة الطريق الموصل إلى الجنة، وأنه ليس بطريق ممهد، بل طريق متاعب وآلام يُضحى من أجله للوصول إلى الجنة، ثم ذكرت بعض نماذج لبعض النساء المجاهدات الصابرات، حتى يكن قدوة صالحة لمن تريد أن تقتدي.

الباب الثالث

فطوبى للغرباء

وأشرت في هذا الباب للغربة التي ستشعر بها المسلمة أثناء سيرها على الطريق، حتى لا تتعجب أو تجزع بسبب ما تلاقيه بما لم يكن في الحسبان،

فيزيدها ذلك ثباتًا على الطريق، ثم ذكرت لها الوسائل التي تدفع عنها هذه الغربة، فتطيب نفسها، ويطمئن قلبها.

الباب الرابع

العقبات وكيفية التغلب عليها

وهو مقصود الكتاب، فذكرت أهم العقبات التي تواجه الأخوات والسبيل إلى تخطي هذه العقبات.

الباب الخامس

وسائل الثبات على دين الله

فقد ختمت الأبواب بملخص لرسالة لطيفة للشيخ محمد المنجد حفظه الله، وجدت لها صلة بموضوع الكتاب، فقمت باختصارها مع شيء من التصرف، وأضفت لها بعض الوسائل الأخرى.

أسأل الله تعالى أن أكون بذلك قد قدمت شيئًا لأخواتي المسلمات، يثبتهن على الطريق إلى الله، ويدفع عنهن كل نكوص، وردة عن الطريق، وأن يتقبله الله عنده بقبول حسن، ويجزيني عليه خير الجزاء بعفوه وفضله.

يا رب! مالي غير لطفك ملجأ ○■○ ولعلني عن بابه لا أُطْرَدُ
يا رب! هب لي توبة أقضي بها ○■○ دَيْنًا عليَّ به جلالك يَشْهدُ
أنت الخبير بحال عبدك إنه ○■○ بسلاسل الوزر الثقيل مُقَيدُ
أنت المجيب لكل داع يلتجي ○■○ وأنت المجيب لكل من يستنجدُ
من أي بحر غير بحرك نستقي ○■○ ولأي باب غير بابك نقصدُ

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه

عصام بن محمد الشريف

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الباب الأول

سلعة الله الغالية

الباب الأول

سلعة الله الغالية

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «قدر السلعة يعرف بقدر مشتريها، والثمن المبذول فيها، والمنادي عليها، فإذا كان المشتري عظيمًا، والثمن خطيرًا، والمنادي جليلاً، كانت السلعة نفيسة»[١].

فهيا سويًا نستقرأ آيات الله، وأحاديث رسول الله ﷺ، لنعرف سويًا ما هي هذه السلعة الغالية، التي يُضحى من أجلها بكل شيء.

أولاً ـ من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ[٢] وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ (سورة الحجر: ٤٥-٤٨).

وقال تعالى: ﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ[٣] ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (سورة الزخرف: ٦٨-٧٣).

---

(١) الفوائد.

(٢) النصب: التعب.

(٣) أي تسرون.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ[١] (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة الدخان: ٥١-٥٧).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ[٢] النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ (سورة المطففين: ٢٢-٢٨).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ (سورة الطور: ١٧-٢٠).

ثانيًا - من السنة الشريفة:

روى الإمام البخاري في كتاب «بدء الخلق» من صحيحه، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، عدة أحاديث منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله: اعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا اذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤا إن شئتم:** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (سورة السجدة: ١٧)».

وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: **«اول زمرة تلجُ الجنة، صورتُهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يَبْصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون، آنيتهُم فيها**

---

(١) أي يأمن صاحبه فيه من كل مكروه.

(٢) نضرة النعيم: أي بهجة التنعم وحُسْنه.

الذهب، امشاطهُم من الذهب والفضة، ومجامرُهم الألوّة - اي العود الذي يُبخر به. ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يُرى مُخُّ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يُسبحون الله بكرة وعشياً».

وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلّها مائة عام لا يقطعها»**[1].

وروى الإمام مسلم في صحيحه في كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» أحاديث منها:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسَعْدَيْكَ والخيرُ في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحداً من خلقك، فيقول: الا أُعطيكم افضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأيُّ شيء افضلُ من ذلك؟! فيقول: أُحل عليكم رضوَاني فلا اسخطُ عليكم بعده ابداً».**

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: **«إن في الجنة لسوقًا يأتونها كل جُمعة فتَهُبُّ ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى اهليهم وقد ازدادوا حُسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بَعْدَنا حُسناً وجمالاً، فيقولون: وانتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً».**

وعن جابر ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«إن اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلُون ولا يبولون، ولا يتغوطون ولا يمتخطون، وقالوا: فما بال**

---

(١) راجع «فتح الباري» (٦/ ٣٦٥).

الطعام؟، قال: جُشاءٌ[١] ورشحٌ - عرق - كرشح المسك، يُلْهَمُون التسبيح والتحميد كما تُلهمون النَّفس».

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ينادي منادٍ إنَّ لكم ان تصحُّوا فلا تسْقَموا أبداً، وإن لكم أن تَحْيَوْا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم ان تَشِبُّوا فلا تهْرَمُوا ابداً، وإن لكم ان تنعموا فلا تبتئسوا ابداً، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الأعراف: ٤٣)».

وعن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «إن للمؤمن في الجنة لخَيْمةً من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها اهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «طوبى شجرة في الجنة، مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من اكمامها»[٣].

وروى مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قوله: «إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة وليأتين عليها يوم وهي كظيظ من الزحام»[٤].

وروى الدارمي وغيره أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: حدِّثنا يا رسول الله عن الجنة ما بناؤها؟، قال: «لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وملاطها - الطين - المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد لا يموت، لا تَبْلى ثيابه ولا يفنى شبابه»[٥].

---

(١) جشاء: تنفس المعدة بإخراج الهواء منها.

(٢) راجع «مسلم بشرح النووي» (١٧/ ١٦٥).

(٣) «السلسلة الصحيحة» للألباني (٤/ ٦٣٩) برقم (١٩٨٥)، أخرجه أحمد وابن حبان.

(٤) كتاب «الزهد» (٨/ ٢١٥).

(٥) رواه أحمد والترمذي أيضًا، وحسنه الألباني «المشكاة» برقم (٥٦٣٠)، «الصحيحة» (٢/ ٦٩٣) برقم (٩٦٩).

وروى البخاري عن أنس عن النبي ﷺ الحديث وفيه: «... **ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً ولأضاءت ما بينهما، ولنصيفها[١] على رأسها خير من الدنيا وما فيها**».

وروى البخاري أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ الحديث وفيه: «... **إن في الجنة مائة درجة أعدها الله عزَّ وجلَّ للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**».

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر؟، قال: «**ذاك نهر أعطانيه الله ـ يعني في الجنة ـ أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل فيه طيرٌ أعناقها كأعناق الجُزُر**»، قال عمر: إن هذه لناعمة، قال رسول الله ﷺ: «**أَكَلَتُهَا أنعم منها**»[٢].

(فصل) خسارة من باع الجنة ونعيمها الدائم بأكدار الدنيا ومتاعها الفاني

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: ولما علِم الموقنون ما خُلقوا له، وما أُريد بإيجادهم رفعوا رءوسهم، فإذا عَلَمُ الجنة قد رُفع لهم فشمروا إليه، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه، ورأوا من أعظم الغَبْن[٣] بيع ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر في أبدٍ لا يزول ولا ينفد بُصبابة عيش[٤]، إنما هو كأضغاث أحلام، أو كطيف زار في المنام، مشوب

(١) النصيف: الخمار.
(٢) صححه الألباني ـ رحمه الله ـ «صحيح سنن الترمذي ـ ٢٠٦٣».
(٣) الغَبْن: الظلم والخداع.
(٤) بقية الماء في الإناء.

بالنَّغَص، ممزوج بالغُصصَ، إن أضحك قليلاً أبكي كثيراً، وإن سَرَّ يومًا أحزن شهوراً، آلامه تزيد على لذاته، وأحزانه أضعاف أضعاف مسراته، أوله مخاوف وآخره مَتَالِف.

فيا عجبًا من سفيه في صورة حليم، ومعتوه في مِسْلاخ[١] عاقل، آثر الحظ الفاني الخسيس، على الحظ الباقي النفيس، وباع جنة عرضها السموات والأرض، بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات، ومساكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار، وأبكارًا عُرُبًا أترابًا كأنهن الياقوت والمرجان، بقذرات دنسات سيئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان، وحورًا مقصورات في الخيام بخبيثات مسيبات بين الأنام، وأنهارًا من خمر لذة للشاربين، بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الذميم، وسماع الخطاب من الرحمن، بسماع المعازف[٢] والغناء والألحان، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد، بالجلوس في مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد، ونداء المنادي: يا أهل الجنة إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا، وتحيوا فلا تموتوا، وتقيموا فلا تظعنوا، وتشبوا فلا تهرموا، بغناء المغنين.

وإنما يظهر الغبن الفاحش في هذا البيع يوم القيامة، وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة، إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفدًا، وسيق المجرمون إلى جهنم وردًا، ونادى المنادي على رءوس الأشهاد: ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم من بين العباد، فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من

---

(١) مسلاخ: جلد.
(٢) المعازف: آلات الموسيقى واللهو، وكل ما يُعزف به.

الإكرام، وادخر لهم من الفضل والإنعام، وما أخفى لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر، ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر، لعلم أي بضاعة أضاع، وأنه لا خير له في حياته وهو معدود من سقط المتاع، وعلم أن القوم قد توسطوا ملكًا كبيرًا لا تعتريه الآفات، ولا يلحقه الزوال، وفازوا بالنعيم المقيم في جوار الكبير المتعال، فهم في روضات الجنة يتقلبون، وعلى أسرتها تحت الحجال[١] يجلسون، وعلى الفرش التي بطائنها من استبرق يتكئون، وبالحور العين يتنعمون، وبأنواع الثمار يتفكهون، يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأسٍ من معين لا يُصَدَّعُونَ عنها ولا يُنْزِفُون، وفاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون، جزاء بما كانوا يعملون، يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون.

تالله لقد نودي عليها في سوق الكساد، فيما قلَّب[٢] ولا استام[٣] إلا أفراد من العباد، فواعجبًا لها كيف نام طالبها؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها؟ وكيف طاب العيش في هذه الدار، بعد سماع أخبارها؟ وكيف قرَّ للمشتاق القرار، دون معانقة أبكارها؟ وكيف قرت دونها أعين المشتاقين؟ وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين؟ وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين؟ وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين؟.

---

(١) الحجال: جمع حَجَلَة وهي قُبَّة تزين بالثياب والستور للعروس (مثل الناموسية في الهيئة).

(٢) أدار السلعة وفحصها.

(٣) استام: ساوم في ثمن السلعة، والتقليب والمساومة لا تكون إلا في السلعة التي يهتم بها الإنسان ويرغب في شرائها.

شعر في وصف الجنة

ومـــا ذاك إلا غـــيـــرة أن ينالهـــا … ســوى كـفـئـهـا والرب بالخلق أعلمُ

وإن حُـجـبت عنا بكل كـريهـةٍ … وحـفـت بما يؤذي النفـوس ويؤلمُ

فلله مــا في حـشـوها من مـسـرةٍ … وأصناف لذات بهـــا يتـنـعمُ

ولله برد العـيـش بين خـيـامـهـــا … وروضاتها والثَغْرُ في الروض يَبْسَمُ

ولله واديهـا الذي هو مـوعـد المزيد … لوفـــد الحب لو كنت منهمُ

بذيالك الوادي يهـيم صـبــابة … مُـحِبٌ يرى أن الصبـابة مـغنمُ

ولله أفـــراح المحـــبين عندمـــا … يخـاطبـهـم من فـوقـهم ويسلمُ

ولله أبصـــار ترى الله جـــهـــرة … فلا الضيم يغشاها ولا هي تسأمُ

فـيـا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة … أمِن بعـدها يسلو المُحِبُ المُتَيَّمُ

ولله كم مِن خَـيْـرَةٍ[1] إن تبـسـمت … أضاء لهـا نور من الفـجـر أعظمُ

فـيـا لذة الأبصـار إن هي أقـبلت … ويا لذة الأسـمـاع حين تكلمُ

ويا خـجـلة الغـصـن إذا انثنت … ويا خَـجْلَة الفـجـرين حين تبـسمُ

فـإن كنت ذا قلب عليل بحـبـهـا … فلم يبق إلا وصلهـا لك مـرهمُ

ولاسيمـا في لَثْمِهـا[2] عند ضَمِّهـا … وقد صار منها تحت جيدك معصمُ

تراه إذا أبدت له حـسن وجـهـهـا … يلذ به قـبـل الوصـــال وينعمُ

تفكه منهـا العين عند اجـتلائهـا … فـواكـه شـتى طَلْعُـهـا ليس يعـدمُ

عناقـيـد من كَـرْمٍ وتفـاح جنةٍ … ورمـان أغـصـان به القلبُ مـغـرمُ

وللورد مـا قـد ألبـسـتـه خـدودها … وللخـمـر مـا قـد ضـمـه الريق والفمُ

(١) خيْرَة: المرأة الخيرة المختارة التي لا شر فيها ولا أذى والمقصود هنا: نساء الجنة أو الحور العين.

(٢) لثمها: تقبيلها.

تقسم منها الحسن في جمعٍ واحدٍ ... فيا عجبًا من واحد يتقسمُ
لها فرقٌ شتى من الحسن أجمعت ... بجملتها إن السُّلُوَ محرمُ
تُذَكِّرُ بالرحمن من هو ناظر ... فينطق بالتسبيح لا يتلعثمُ
إذا قابلت جيش الهموم وجهها ... تولى على أعقابه الجيش يهزمُ
فيا خاطب الحسناء إن كنت راغبًا ... فهذا زمان المهر فهو المقدمُ
ولما جرى ماءُ الشباب بغصنها ... تيقن حقًّا أنه ليس يهزمُ
وكُنْ مبغضًا للخائنات لحبها ... فتحظى بها من دونهن وتنعم
وكن أيمًا ممن سواها فإنها ... لمثلك في جنات عدن تأيمُ
وصُمْ يومك الأدنى لعلك في غد ... تفوز بعيد الفطر والناس صوَّمُ
واقْدِم ولا تقنع بعيش مُنَغَّص ... لما فاز باللذات من ليس يُقدمُ
وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها ... ولم يك فيها منزلٌ لك يُعلَمُ
فَحَيَّ على جنات عدنٍ فإنها ... منازلنا الأولى وفيها المُخَيَّمُ
ولكننا سَبْيُ العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلمُ
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى ... وشَطَّت به أوطانه فهو مُغْرَمُ
وأي اغتراب فوق غُربتنا التي ... لها أضْحت الأعداء فينا تُحَكَّمُ
وَحَيَّ على السوق الذي فيه يلتقي ... المحبون ذاك السوقُ للقوم يُعلم
فما شئت خذ منه بلا ثمن له ... فقد أسْلَفَ التُّجَارُ فيه وأسلموا
وَحَيَّ على يوم المزيد الذي به ... زيادة رب العرش فاليوم موسمُ
وَحَيَّ على وادٍ هُنالك أفْيَحُ ... وتُرْبَتُه من أذْفَرِ المسك أعظمُ
منابر من نورٍ هناك وفضة ... ومن خالص العِقْيَانِ[1] لا تتقصمُ
وكثبان مسك قد جُعِلْنَ مقاعدًا ... لمن دون أصحاب المنابر يعلمُ

---

(١) العِقْيان: الذهب الخالص.

فبينا هُمُو في عيشهم وسرورهم ▪▪▪ وأرزاقهم تجري عليهم وتقسمُ
إذا هُم بنور ساطع أشرقت له ▪▪▪ بأقطارها الجنات لا يتوهمُ
تجلى لهم رب السموات جهرة ▪▪▪ فيضحك فوق العرش ثم يُكَلِّمُ
سلام عليكم يسمعون جميعهم ▪▪▪ بآذانهم تسليمه إذ يُسَلِّمُ
يقول سلوني ما اشتهيتم فكل ما ▪▪▪ تريدون عندي إنني أنا أرحمُ
فقالوا جميعاً نحن نسألك الرضا ▪▪▪ فأنت الذي تُولي الجميل وترحمُ
فيعطيهم هذا ويَشْهَدُ جَمْعُهُم ▪▪▪ عليه تعالى الله فالله أكرمُ
فيا بائعًا هذا بِبَخْسٍ مُعَجَّلٍ ▪▪▪ كأنك لا تدري، بلى سوف تعلمُ
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة ▪▪▪ وإن كنت تدري فالمصيبة أعظمُ»[(١)]

فيا أيتها الأخوات المسلمات ... اهتفن بالقلوب لعلها تستيقظ من رقدتها، واصرفن نفوسكن عن موارد الهلاك، فقد ناحت الدنيا على أهلها بألسن الإنقلاب، ولاحت لاكن من الآخرة شواهد الاقتراب، وأنتن عما أضلكن منها غافلات، وبما غرَّكن وألهاكن عنها متشاغلات، كأنكن بحقيقة معرفتها جاهلات، أو كأنكن إلى غيرها راحلات، فإن لله مردنا إليه راجعون.

فاتركن ما أنتن عنه منقلبات، وانهضن في التزود ولما أنتن إليه صائرات، واجعلن الجنة نصب أعينكن، لا تغفلن عنها أبدًا، حتى تصبحن في الجنة من الساكنات، اللائي رضي الله عنهن، ورضين عنه.

(١) انظر «روح وريحان من نعيم الجنان» لعبد الحميد الدخاخني وهو المختصر الصحيح من كتاب الإمام ابن القيم «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (٣٠-٣٤).

الباب الثاني

حفت الجنة بالمكاره

الباب الثاني

حُفت الجنة بالمكاره

السائر إلى الله والراغب في نيل رضاه والجنة، لابد أن يجد أثناء سيره ما يعوقه عن السير، فإن لم يعلم ذلك من البداية، ولم يعرف طبيعة الطريق الذي يمشي فيه وكيفية تخطي العقبات والمكاره، مع إيمانه القوي بوجوب التحمل والثبات والتضحية واحتساب الأجر عند الله تعالى وحده، ما استطاع أن يصل إلى ما يريد، بل ربما يرجع القهقرى نتيجة ضعفه أو خوفه أو عدم تحمله لمشاق هذا الطريق.

وقد كان رسول الله ﷺ يلاقي هو وأصحابه من الفتن والمصائب والشدة ما يلاقونه، ولكنهم صبروا وتحملوا الأذى في سبيل الله.

ولقد كان الوحي ينزل عليهم بالتوجيهات الإلهية - التي كانت بمثابة منهج للتربية من حكيم خبير - التي تنير لهم الطريق وتهون عليهم، وترزقهم الصبر والثبات (وكانت هذه التوجيهات الإلهية تتوالى عليهم هادية ومرشدة لهم لإعداد أنفسهم لتكاليف الأمانة التي لا مفر منها ولا محيص عنها، ولكي يقبلوا عليها راضية نفوسهم، مستقرة ضمائرهم)[1]. إنَّ هذه التوجيهات كانت تبين لهم أن ما يلاقونه من الشدائد، إنما هو سنة الله تعالى في تمحيص المؤمنين وإعدادهم ليدخلوا الجنة، وليكونوا أهلاً لها.

(١) «الابتلاء وأثره في حياة المؤمنين كما جاء في القرآن الكريم» لعبد الله ميرغني محمد صالح، جامعة الإمام بالرياض (ص:٤٩).

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (سورة البقرة: ٢١٤).

قال صاحب الظلال: «وهذا هو الطريق إلى الجنة، كما يصفه الله للجماعة المسلمة الأولى، وللجماعة المسلمة في كل جيل، هذا هو الطريق: إيمان وجهاد، ومحنة وابتلاء، وصبر وثبات، وتوجه إلى الله وحده، ثم يجيء النصر، ثم يجيء النعيم»[(١)].

وروى مسلم بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «حُفَّت الجنة بالمكاره، وحُفت النار بالشهوات»[(٢)].

«فطريق الجنة إذن محفوف بالمكاره، وزاده التقوى والصبر على مشاق الطريق، ثم الصبر على تكاليف الجهاد وعلى معاناة البلاء، وليس زاده التمني والأماني الطائرة، التي لا تثبت على المحنة والشدائد والبلاء»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٢).

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «أي لا يحصل لكم دخول الجنة حتى تبتلوا، ويرى الله منكم المجاهدين في سبيله، والصابرين على مقاومة الأعداء»[(٤)].

---

(١) «في ظلال القرآن» (٢/ ٢١٨).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ١٦٥).

(٣) «الابتلاء» (ص: ٥٣).

(٤) «تفسير» ابن كثير (١/ ٤٠٨).

وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (سورة العنكبوت: ١-٣).

قال المراغي في تفسيره: يقول تعالى: «أيها الناس، لا تظنوا أني خلقتكم سدىً، بل خلقتكم لترقوا إلى عالم أعظم من عالمكم، وأرقى منه في كل شئونه، ولا يتم ذلك إلا بتكليفكم بعلم وعمل، واختباركم من آن إلى آخر بإنزال النوازل والمصائب، في الأنفس والأموال والثمرات، والتخلي عن بعض الشهوات، وفعل التكاليف من الزكاة والصيام والحج ونحوها، فحياتكم حياة جهاد وشدة، شئتم أو أبيتم، وبمقدار ما تصبرون على هذا الاختبار وتفوزون بالنجاح فيه، يكون مقدار الجزاء والثواب، وتلك سنَّة الله فيكم وفي الأمم من قبلكم، وتاريخ الأديان مليء بأخبار هذا البلاء وما لقيه المؤمنون من المكذبين بالرسل»[(١)].

لذا فإنه على الأخت المسلمة أن توطن نفسها على ذلك، وأن تصبر وتحتسب الأجر عند الله تعالى، ولا تعجز ولا تضعف، حتى تنال ما عند الله من نعيم الجنة.

(فصل) في فوائد الابتلاء

حاشا لله أن يعذب عباده المؤمنين بالابتلاء، أو أن يؤذيهم بالفتنة، ولكن تتجلى رحمة الله تعالى وحكمته فيه، فمن فوائد الابتلاء:

١ ـ تربية المؤمنين وصقل معادنهم وتمحيص ما في قلوبهم، فهم ينضجون بالمحن كما ينضج الطعام بالنار.

---

(١) تفسير المراغي (٢٠/١١٣).

قال تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٤).

٢ ـ رفع درجات المؤمنين، ومضاعفة حسناتهم، وتكفير خطاياهم، حتى يمشي أحدهم على الأرض وما عليه خطيئة.

قال ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة»[(١)].

وقال ﷺ أيضًا: «ما يصيب المسلم من هم ولا غم ولا نصب ولا وصب ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»[(٢)].

٣ ـ تطهير الصف المؤمن من أدعياء الإيمان من المنافقين والذين في قلوبهم مرض، فإبان العافية والسراء يختلط الحابل بالنابل، والخبيث بالطيب، وإنما يقع التمييز بين الأصيل والدخيل، بالمحن والبلاء، كما يتميز الذهب الحقيقي من الزائف بالامتحان بالنار.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (سورة آل عمران: ١٧٩)[(٣)].

٤ ـ الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة، وهو لا يتم إلا بالمعاناة العملية للمشاق، وبالاستعلاء الحقيقي على الشهوات، وبالصبر الحقيقي على الآلام.

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح «صحيح الجامع» (برقم ٥٨٢٨).

(٢) رواه البخاري وغيره.

(٣) راجع «أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية» للدكتور/ علي بن نفيع العلياني.

أيتها الأخوات المسلمات ... (إن طريق الجنة ليس مفروشًا بالأزهار والرياحين، بل محفوف بالمكاره والشدائد والمحن والابتلاءات، والزاد في هذا الطريق هو الصبر والتقوى فيحتاج المؤمن إلى صبر على المكاره ليدخل الجنة، وإلى صبر عن الشهوات لينجو من النار، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (سورة الرعد: ٢٢-٢٤))[١].

(فصل) نماذج من سير النساء المجاهدات الصابرات

وهذا نموذج صادق بلغتـه امرأة مؤمنة ظهر من خلاله قـوة إيمانها بالله تعالى وجلال صبرها، وشدة عزيمتها ومجاهدتها لنفسها، وهو موقف أم سُلَيم.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرض أخٌ لي من أبي طلحة يُدعى أبا عُمير، فبينا أبو طلحة في المسجد مات الصبي، فهيأت أم سليم أمره وقالت: لا تخبروا أبا طلحة بموت ابنه، فـرجع من المسجد، وقـد تطيبت له وتصنعت، فقـال: ما فعـل ابني؟»، قالت: «هو أسكن مما كـان»، وقدمت له عـشاءه، فـتعـشى هو وأصحابه الذين قدموا معـه، ثم قامت إلى ما تقوم له المرأة، فأصاب من أهله، فلما كـان آخر الليل قـالت: «يا أبا طلحة، ألم تر آل فـلان، استعـاروا عارية، فتمتعوا بهـا، فلما طُلبت إليهم شقَّ عليهم؟»[٢] قال: ما أنصفـوا، قالت: «فإن ابنك فلانًا كان عـارية من الله فقبضـه إليه».. فاسترجع.. وحـمد الله، وقال:

(١) «الابتلاء» (ص: ٦٢).

(٢) قال النووي «شرح مسـلم» (١٦/ ١١): وضربها لمثل العارية دليل لكمال علمهـا وفضلها وعظم إيمانها وطمأنينتها.

«والله لا أدعك تغلبيني على الصبر»، حتى إذا أصبح غدا على رسول الله ﷺ. فلما رآه قال: «بارك الله لكما في ليلتكما»، فاشتملت منذ تلك الليلة على عبد الله بن أبي طلحة، ولم يكن في الأنصار شاب أفضل منه، وخرج منه رجلٌ كثير، ولم يمت عبد الله حتى رزق عشر بنين كلهم حفظ القرآن، وأبلى في سبيل الله»[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: شهدت أم سُليم «حنينًا» مع رسول الله ﷺ ومعها خنجر قد حزمته على وسطها، وإنها يومئذ حامل بعبد الله بن طلحة، فقال أبو طلحة: يا رسول الله إن أم سُليم معها خنجر، فقالت: يا رسول الله أتخذه إن دنا مني أحدٌ من المشركين بقرت بطنه، أقتل به الطلقاء، وأضرب أعناقهم إن انهزموا بك، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «يا أم سُليم، إن الله قد كفى وأحسن»[2].

وضربت أم إبراهيم العابدة دابة فكسرت رجلها، فأتاها قوم يعزونها فقالت: «لولا مصائب الدنيا لوردنا الآخرة مفاليس»[3].

وهناك من النساء من ضربن المثل الأعلى، والقدوة الحسنة في الصبر من أجل دينهن، فمنهن من كانوا يلقونها، ويحملون لها مكاوي الحديد، ثم يضعونها بين أعطاف جلدها، ويدعون الأطفال ليعبثون بعينها حتى يذهب بصرها.

وممن عُذِّب بهذا العذاب زنيزة جارية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان هو وجماعة من قريش يتولون تعذيبها، ولما ذهب بصرها قال المشركون: «ما

---

(١) راجع «أحكام الجنائز وبدعها» للألباني، ص (٢٤).
(٢) صححه الحافظ في «الإصابة» (٨/ ٢٢٩).
(٣) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٣/ ١٩٠).

أصاب بصرها إلاَّ اللات والعزى»، فقالت لهم: «والله ما هو كذلك، وما تدري اللات والعزى من يعبدهما، ولكن هذا أمرٌ من السماء والله قادرٌ على أن يرد عليَّ بصري».

ومن النساء أيضًا اللائي أبلين بلاءً حسنًا، من كانوا يسقونها العسل، ويوثقونها بالأغلال، ثم يلقونها بين الرمال، ولها حر يذيب اللحم، ويصهر العظم، حتى يقتلها الظمأ، ومنهن أم شريك، وجارية لبني المؤمل، والنساء رضي الله عنهن جميعًا[1].

وهذان مثالان من أروع الأمثلة والنماذج الإيمانية الراقية، والتي تدل على قوة الإيمان والثبات على الدين، جدير بكل مسلمة أن تقف أمامها بكل تأمل وتدبر آخذة منهما الدروس والعبر.

١ ـ آسيا ملكة مصر:

روى أبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إن فرعون أوتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها، فكان إذا تفرقوا عنها ظلَّتها الملائكة، فقالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة التحريم:١١)، فكشف لها عن بيتها في الجنة»[2].

يقول الدكتور عمر سلمان الأشقر ـ حفظه الله ـ: (من سنة الله في خلقه أن يفضحهم إن هم تجاوزوا حدودهم، وبخاصة إذا اعتدوا على ربوبية الله وألوهيته، ومن ذلك ما وقع لطاغية مصر الذي ادعى الألوهية والربوبية، وقد فضحه الله في مواقف كثيرة، آخرها إهلاكه وجنده بالغرق.

---

(١) انظر «عودة الحجاب» للشيخ محمد إسماعيل (٢/ ٥٣٩: ٥٦٤).
(٢) قال الألباني ـ رحمه الله ـ: إسناده صحيح على شرط مسلم «الصحيحة» (٦/ ٣٥) برقم (٢٥٠٨).

ومن ذلك أنه كان يبحث عن الطفل الذي سيكون هلاكه على يديه، فأرسله الله إليه في قصره، وألقى حبه في قلب الملكة، فربي في قصر فرعون، فكان يرعاه ويحفظه، وينفق المال على أمه جزاء إرضاعها له.

ومن ذلك إدخال الإيمان بالله الواحد الأحد في قلب ماشطة ابنته، فقد كفرت بألوهيته وربوبيته وآمنت بالله الواحد الأحد.

ومن ذلك إيمان زوجة فرعون بالله وبما جاء به رسول الله موسى فعذبها عذابًا شديدًا، وطلب من الله تبارك وتعالى أن ينقذها من عذابها، ويختارها إلى جواره ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة التحريم: ١١).

وقد أخبرنا هذا الحديث أن فرعون عندما اكتشف إيمان زوجته، أوتد لها أربعة أوتاد في يديها ورجليها، وهذا يعني أنه دق في كل طرف من أطرافها وتدًا، ويحتمل أن يكون أمر بأن يشد كل طرف من أطرافها بحبل إلى وتد من تلك الأوتاد.

وعلى كل فإن هذا النوع من التعذيب مؤلم وشديد، ولذلك فإنها دعت ربها أن يخلصها من فرعون وعمله، وأن ينجيها من القوم الظالمين، بنقلها إلى دار البقاء في جنات النعيم.

وأخبرنا هذا الحديث أن الملائكة كانت تظل هذه المرأة الصالحة عندما يتفرق عنها زبانية فرعون الذين يعذبونها، كما أخبرنا أن الله كشف لها عن بيتها في الجنة، وهي تحت العذاب. لقد أثبتت هذه المرأة لفرعون تفاهته وحقارته، فقد آمنت بالله إلهًا وربًا، وكفرت بألوهيته وربوبيته، ولو كان إلهًا كما ادعى لما

خرجت زوجته عن طوعه، ولا استطاع أن يعيدها إلى الإيمان به، ولكنها اختارت مفارقته إلى الرب الذي آمنت به)[١].

■ *دروس وعبر من هذه القصة:*

١ - لتنظر المرأة المسلمة إلى إيمان زوجة فرعون الضارب في أعماق قلبها، والتي واجهت به العذاب والهوان الذي أصابها بسبب ثباتها على عقيدتها وإيمانها بالله تعالى، مع أنها هي المرأة الرقيقة الضعيفة المنعمة في قصر فرعون، والتي كانت تعيش عيشة المرفهات، لا لشيء إلا طلبًا لمرضاة الله تعالى وجنته.

فهل وعت المسلمة الدرس كي تثبت على التزامها وتمسكها بدينها، ولا تقدم تنازلات، أو تتوانى في الالتزام ببعض شعائر دينها؟ وهل علمت المسلمة أن ما عند الله خير وأبقى؟

٢ - لم يراع فرعون حق العشرة والصحبة مع زوجته التي عاشت معه، فأذاقها أشد ألوان العذاب، لا لأنها ضيعت حقوقه أو بعضًا منها، أو لأنها لا تعاشره بالمعروف، وإنما بسبب إيمانها بالله تعالى وكفرها بألوهيته الكاذبة.

فما حال المسلمة التي ترزح تحت رجل لا يصلي؟ أو رجل يريدها متبرجة؟ أو رجل يشرب الخمر أو يزني بالنساء؟ فما بقاؤها معه؟!

إن على المسلمة أن تفر من زوجها إذا ما أمرها بمعصية الله تعالى، أو أصبح خائنًا لهذه الأمانة التي أخذها من وليها ولم يحافظ عليها.

وإن على المسلمة أن تثبت وتصبر حتى تأخذ بيد زوجها إلى مرفأ الإيمان والعقيدة الصحيحة، إذا لمست فيه الخير، حتى يرتقيا سويًا إلى مرضاة الله تعالى.

---

(١) «صحيح القصص النبوي» (ص: ٢٨١-٢٨٢).

٣ ـ نصر الله عزَّ وجلَّ لعباده المؤمنين به، ورعـايته لهم، عندما يبتلوا بسبب إيمانهم به سبـحانه وتعالى، عـقيدة لابد أن تستـقر في قلب كل مسلمـة، فربما يتأخـر الفرج بعض الوقت، وربما يستمـر البلاء مدة، لكن في النهـاية نصر الله آت، وتثبيته لعباده المؤمنين قائم، يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، وهذا يظهر لنا من إرسال الله تعـالى لامرأة فرعـون الملائكة تظلها وهي مـشدودة إلى الأوتاد، وكشف لها عن بيتها في الجـنة ومنزلته عنده، وفي ذلك تثبيت لها على الإيمان، فهو سبحانه وتعالى لا يتخلى أبدًا عن عباده المؤمنين الصابرين.

٤ ـ اختارت امرأة فرعون ما عند الله على ما عند فرعون من النعيم الزائل، وفضلت نعيم الآخرة على نعيم الدنيا، فهلاً وعت المسلمة الدرس، فكانت عينها وقلبها دائمًا على الجنة، وليس على حطام دنيا زائـلة، وكان شعارها دائمًا: «ما عند الله خير وأبقى».

٥ ـ لو شاء الله لأنجى آسـيا امرأة فـرعون من محنـتها وابتـلائها، ولأهلك فرعون وزبانيـه، ولكنها سنة الله تعالى في خلقه، يبـتلي عباده المؤمنين، ويمهل الظلمة الكفرة ولـكن لا يهملهم، يرفع درجات المؤمنين ويكفر عنهم سـيئاتهم، ويعد للظالمين والكاذبين العذاب في الدنيا والآخرة.

٢ ـ *ماشطة ابنة فرعـون:*

روى أحمـد في مسنده، عن عبـد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قـال رسول الله ﷺ: **«لما كـانت الليلة التي أُسـريَ بي فـيهـا اتت عليَّ رائحـة طيـبـة، فـقلت: يا جبريـل، مـا هذه الرائحة الطيبة؟»، فـقـال: هذه رائحـة مـاشطـة ابنة فـرعـون وأولادهـا. قـال: قلت: «ومـا شـأنهـا؟»، قـال: بينـا هي تُمـشـط ابنـة فـرعـون ذات يـوم إذ سـقطت**

المِدْرَى[١] من يديها، فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي وربُ أبيك الله، قالت: أخبره بذلك؟ قالت: نعم، فأخبرته، فدعاها، فقال: يا فلانة، وإن لك ربًا غيري؟ قالت: نعم، ربي وربك الله، فأمر ببقرة من نحاس، فأحميت، ثم أمر بها أن تُلقى هي وأولادها فيها، قالت له: إن لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قالت: أُحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد، وتدفننا، قال: ذلك لك علينا من الحق.

قال: فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحداً واحداً إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مرضع، وكأنها تقاعست[٢] من أجله، قال: يا أمه، اقتحمي فإنَّ عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فاقتحمت.

قال: قال ابن عباس: «تكلَّم أربعة صغار: عيسى ابن مريم عليه السلام، وصاحب جُريح، وشاهد يوسف عليه السلام، وابن ماشطة ابنة فرعون»[٣].

يقول الدكتور/ عمر الأشقر ـ حفظه الله ـ: (هذه قصة امرأة علم الرسول ﷺ عملها عندما يخرج به إلى السموات العلا في ليلة الإسراء، فقد تنسم الرسول ﷺ في عروجه نسمات طيبة هبت عليه، فسأل جبريل عن مصدرها، فأخبره أن هذه الرائحة الطيبة تنبعث من ماشطة ابنة فرعون ومن أولادها.

كانت هذه المرأة تعيش في قصر الملك، وكانت تعني بابنته، فتمشط شعرها، وتقوم على أمرها، ومن كان هذا عمله لابد أن يكون مكرمًا معززًا مرفهًا، ولكن الإيمان غزا قلبها، وملك عليها أمرها، كما غزا قلب الملكة زوجة فرعون،

---

(١) المدرى: أداة من الأدوات التي يسرح بها الشعر.

(٢) تقاعست: تأخرت.

(٣) حسن إسناده محققوا المسند، وعزوه إلى الطبراني وابن حبان.

فالإيمان يجد له طريقًا إلى قلوب الأغنياء كما يجده إلى قلوب الفقراء، عندما يريد الله بعبده خيراً.

وقد كتمت هذه المرأة إيمانها كما كتمته زوجة فرعون، وكتمه مؤمن آل فرعون ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ (سورة غافر:٢٨)، ولكن مهما حاول المرء أن يكتم ما يجري في أعماق نفسه، فلابد أن تدل عليه تصرفاته، وسمته، وحركاته، وأقواله، ففي بعض الأوقات يغفل الإنسان عن نفسه، فيتصرف على سجيته.

وقد حصل هذا لهذه المرأة الصالحة، فقد سقط منها المدرى عندما كانت تسرح لابنة فرعون شعرها، فقالت: بسم الله، وهي مقولة تجري على ألسنة المسلمين من غير قصد، يقولون بسم الله عندما تزل أقدامهم، أو يتعثر أحد أبنائهم، أو يسقط من يد أحدهم سكينه أو قلمه.

وعجبت ابنة فرعون لمقالتها، وكانت جاهلة مغترة بأبيها، تعتقد فيه ما ادعاه زورًا وكذبًا من الألوهية والربوبية، فقالت لها مستفهمة: أبي؟ تقول لها: الذي سميت باسمه أبي؟ فأبت تلك المرأة المؤمنة أن تعترف لفرعون وتقر له بالألوهية الكاذبة التي يدعيها، وعزمت على أن تقف الموقف الذي يفرضه الإيمان على الرغم مما سيترتب عليه من النتائج التي قد تقضي عليها وعلى أولادها، ولذلك كانت صريحة في الإجابة، وهي صراحة مقرونة بالتحدي، فلم تكتف بالقول: إنه الله ربي، بل قالت: ربي ورب أبيك الله.

وعند ذلك قالت لها: أخبره بذلك؟ تسألها إن كانت توافق إخبار الملك بإيمانها بالله، وخروجها عن ألوهية الملك، فقالت: نعم.

ولعل ابنة فرعـون كانت تريد من وراء ذلك السؤال أن تجثو هذه المرأة على ركبتيها تتوسل إليها كـي لا تخبر الملك بخبرها، كي لا يقضي عليها، ولا على أولادها، ومن الناس من يتنعم بتذلل الناس وخضوعهم لهم.

أو لعلها كانت تريد أن تبقي سرها محـفوظًا عندها كي تساعدها على تحقيق رغباتهـا وأغراضها، ففي قصـور مثل هذا الطاغوت تتعدد مـراكز القوى، وكل يسعى لتحقيق مصالحه ورغـباته، ويحتاج هؤلاء إلى الأعوان من الرجال والنساء الذين يتجسسون لصالحهم، ويقومون بتنفيذ مخططاتهم، يدلك على صحة ذلك أنها لم تبـادر لإخبار أبيهـا بما قالته، ولكنهـا سألتها عن ذلك ولابدَّ أن سـؤالها إياها يدل على أنها لها مأربًا من وراء سؤالها.

ولكن المرأة الصالحة حسمت الأمر، فلم تتوسل، ولم تطلب من ابنة الملك كتمان أمـرها، ووافقت على إخباره بحالهـا، ويبدو أنها تعبت كتمـانها إيمانها، فالذي يكتم إيمانه يجد عناء شـديدًا، فهو يكتم صلاته وصيـامه ودعاءه، وإذا ما وقع منه ما يكاد يشي به، عنتا في تبرير ما وقع من تصرفات وأقوال وأفعال.

وقد يصل الحال بأمثال هؤلاء إلى التصـريح بإيمانهم عمدًا، وقد يفرحون إذا انكشف أمرهم، وتبين حالهم، على الرغم من النتائج الأليمة التي تعقب ذلك.

ولو طلبت منها عدم إخبار أبيـها، فإنها ستبقى أسيرة لهـا، وستبقى تهددها وتتوعدها بإخباره فتعيش في رعب دائم.

وأخبـرت الفتاة المغـرورة أباها الجبار الطـاغية بما كـان من شأن ماشطتـها، فدعاها واستعلم منها، فصدقته القول، وأن الله هو ربها وربه.

وهذا الموقف الذي وقفته هذه المرأة يمثـل إنموذجًا يحدث دائمًا وأبدًا، ولكنه فريد، إنه الأنموذج الذي يمثل استعلاء الإيمان أمام الكفر والطغيان، الإيمان المجرد

من السلاح والقوى البشرية، يظهره المرء على الرغم من تبعاته الجسام، والمعاناة التي سيعانيها صاحبه، ولكنه يطمع من وراء ذلك أن ينال حياة كريمة عند الله في جنات النعيم.

فما كان من ذلك الطاغية إلا أن استعمل وسيلة من الوسائل التي كان قد أعدها لمن يخرجون عن ألوهيته وربوبيته، فقد جاء بأداة مصنوعة على شكل بقرة، فأشعلت تحتها النار حتى حميت، ثم أمر أن تلقى وأولادها في جوف تلك البقرة النحاسية، بعد أن أصبحت فرنًا ذا حرارة شديدة هائلة.

فطلبت منه طلبًا، وطلبها لم يكن تذللاً ولا خضوعًا، ولا رجاء ولا استعطافًا، لقد كان الطاغية يظن أن هذا النوع من العذاب يمكن أن يردها عن دينها، أو لعله كان يظن أن هذه المرأة الرقيقة قد تتوسل إليه وترجوه ليصفح عنها، أو لعلها ترجوه لأولادها، فقد تقول له: ما شأن أولادي، أنا المجرمة في نظرك دونهم، ولكنها لم تفعل شيئًا من ذلك، وكل الذي طلبته أن يجمع بقاياها المحترقة وبقايا أولادها في ثوب، ثم تدفن بقايا الأجساد المحترقة، وقد وعدها بتحقيق مطلبها.

وقد يظن بعض الناس أن هذه المرأة قد أساءت لأولادها عندما أوقعتهم في هذا البلاء العظيم الذي حلَّ بهم، ولكن لهذه المرأة وأمثالها منطق آخر، فهي تعتقد أن هذا الذي فعل بهم فيه خير عظيم لهم عند ربهم عندما يقدمون عليه، وكذلك كان.

أمر الطاغية برمي أولادها في جوف ذلك الأتون المشتعل واحدًا في إثر واحد قبل أن يقذف بها فيه، ولعله أراد بذلك أن ترجع عن دينها، وهي ترى كيف تفعل النار بهم قبلها، ولعله أراد أن يزيد في عذابها برؤيتها أولادها

يحترقون بين يديها، والمرأة رقيقة في طبعها، ولذا تؤذيها رؤية المناظر البشعة كالإحراق بالنار وسفك الدماء، ويزيد من ألمها أن يكون الذين يعذبون ويقتلون هم أولادها، فالأم في هذه الحال يتصدع قلبها، وتتفطر مرارتها، ولكن هذا الموقف الذي وقفته، وهذا الصبر والتجلد الذي تحلت به يدل على ذلك المستوى الإيماني الذي بلغته تلك المرأة، ولذا لم يكن عجبًا أن يفوح عطرها وعطر أولادها وشذاهم هناك في السموات، وأن يجده الرسول ﷺ ويلفت نظره في رحلته إلى السموات العلا، وأن يعلم خبرها في تلك الرحلة، إنها عظيمة عند الله، فبمقدار هوانها على فرعون وجنده عظمت عند الله وملائكته.

وقد أخبرنا رسولنا ﷺ أن تلك المرأة رق قلبها وتألمت ألمًا شديدًا عندما جيء بابنها الرضيع ليقذف به في النار، وأكثر ما تكون المرأة شفقة ورقة عندما يصاب ابنها الرضيع بما يؤذيه في هذا السن، فكأنها تقاعست وفكرت بالنكوص، فثبتها الله بابنها، فأنطقه الله آية لها، ليزيد إيمانها، ويدلل لها على صدق موقفها، فقال لها: - وليس من شأن الأطفال أن يتكلموا - يا أمه، اقتحمي، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

لم يطلب منها ألا تحزن عليه، أو تفكر فيه، وإنما خاطبها في أمر نفسها، وطلب منها أن تصبر على ما أريد بها، فعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، هذا هو العزاء الكبير الذي يعزي من يواجهون الموت والقتل في سبيل الله، ولذا فإنها - عندما سمعت كلام وليدها - لم تنتظر منهم أن يقذفوها في النار، بل اقتحمت بنفسها النار، وألقت بها في ذلك الأتون المستعر.

ولاشك أن رائحة جسدها المحترق وأجساد أولادها كانت تفوح، شأنها شأن اللحم عندما يوضع في الفرن فيشيط ويحترق، ولذلك كان من إكرام الله لها أن

جعل لها عطراً مميزاً يفوح في السموات، لقد ربحت تلك المرأة، وخسر فرعون، لقد مـاتت كما مات فـرعون، وذهب كل منهمـا إلى ربه، فرعون وزبانيـته في البرزخ يعرضـون على النار غدواً وعشياً، وفي يوم القـيامة يقدم قومـه فيوردهم النار، وهذه وأولادها يتنعمـون في الدرجات العلا، ويوم القيـامة يدخلهم ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

* عبر الحديث وفوائده:

١ ـ بيـان ما يفـعله الإيمان بالنـفوس، فـفي سـبيل الله يسـتـروح المؤمنون العـذاب، ويواجهـون الطغاة، ولا ينفع فـي مواجـهة المؤمن أشـد ألوان الظلم وأقسى أنواع التعذيب.

٢ ـ فيـه ذكر بعض مـا وقع للرسول ﷺ فـي معراجـه إلى السمـاء ليلة الإسراء، فقد شم عطر هذه المرأة، وأخبره جبريل بقصتها.

٣ ـ إكرام الله لأوليائه الذين بذلوا نفـوسهم رخيصة في سبـيله، فقد أعلى الله مقام هذه المرأة، وأكرمها إكرامًا عظيمًا، هي وأولادها.

٤ ـ عظم كراهية الكفرة أمثال فـرعون للمؤمنين، وخلو قلوبهم من الرحمة عندما يواجهـون المؤمنين، فقد يسفكون دمـاءهم، وقد يحرقونهم، غيـر مفرقين بين البالغين والأطفال الرضع.

٥ ـ لم تكن المرأة منتحرة عندمـا اقتحمت النار، فقـد أرادت أن تغم فرعون وزبانيته، فبدل أن ترضـي غرورهم بتمنعها وصياحها ورفـضها الإلقاء في النار، اقتحمتـها بنفسها، غير هيابة ولا وجلة، فـزاد ذلك في غيظهم وقهرهم، وأبانت لهم حقارة أنفسهم، ففي الدنيا من لا يقبل المذلة، ويأبى أن يطأطيء رأسه للظلم

والظالمين، وقد يظن بعض الذين ينسبون إلى العلم أن هذا الذي فعلته هذه المرأة المنتحرة، وهؤلاء بحاجة أن يعرفوا الفرق بين الانتحار وما فعلته هذه المرأة)[1].

٦ ـ كذلك يظهر لنا من موقف ماشطة ابنة فرعون مدى ثباتها على دينها وعقيدتها، رغم أن الفرصة أتتها أكثر من مرة لتعود عما قالت، ولكنها أصرَّت وهي تعرف ما الثمن الذي ستدفعه إزاء هذا الإصرار على ما هي عليه من الحق.

فلما قالت لها ابنة فرعون: أبي، قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك، قال: أخبره بذلك؟» فقد كان من الممكن أن تتراجع ولكنها قالت: نعم، أي أخبريه، وحتى لما وقفت بين يدي سيدها فرعون وقال لها: يا فلانة، وإن لك ربًا غيري؟، أصرَّت وقالت: نعم ربي وربك الله.

هكذا يكون الثبات على الالتزام والاستقامة على الدين، لا لمجرد هوى أو ضعف أو استهزاء من قريب أو جارة أو أهل تنتكس المسلمة.

٧ ـ هل سألت المسلمة نفسها: ما السبب الرئيسي والمهم الذي يحمل مثل هذه الخادمة في قصر أقوى وأغنى رجل في عصره وهي تعيش عيشة المرفهات فهي ماشطة بنت الملك؟ إنها الجنة أيتها المسلمة التي يجب ألا تقدمي عليها شيئًا أبدًا.

---

(١) «صحيح القصص النبوي» (ص: ٢٨٧-٢٩٣).

الباب الثالث

فطوبى للغرباء

الباب الثالث

فطوبى للغرباء

لابد أن تفهم الأخت المسلمة وهي في طريقها لطلب رضا الله والجنة، أنها ستكون غريبة ولابد، وستشعر بالغربة، حتى بين أقرب الناس إليها وأحبهم إلى قلبها - إن لم يكونوا يسيرون في نفس الطريق - لأننا في زمن لا يفهم فيه كثير من الناس الإسلام الصحيح إلا من رحم الله، فلا تجزع من ذلك ولا تهن، بل تعلم أن ذلك من صحة سيرها على الطريق.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا، فطوبى[١] للغرباء»[٢]**.

وفي تفسير معنى الغرباء وردت أحاديث منها:

١ - **«... الذين يُصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي»[٣]**.

٢ - **«... الذين يُصلحون إذا فسد الناس»[٤]**.

٣ - **«... أناس صالحون في أناس سوءٍ كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»[٥]**.

وقد قسَّم الشيخ سلمان بن فهد العودة المعنى العام للغربة إلى صورتين:

---

(١) قيل في معناها: الخير والفرح والنعيم، وقيل الجنة، وقيل شجرة في الجنة.

(٢) رواه مسلم وابن ماجه وأحمد وغيرهم.

(٣) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) رواه الطبراني في «الأوسط»، وهو حديث حسن.

(٥) رواه أحمد وغيره، وهو حديث حسن.

الأولى - غربة أهل الإسلام في أهل الأديان في كل زمان ومكان، فالمسلمون في الكفار كالشعرة البيضاء في الثور الأسود.

وهذه الحقيقة الثابتة - شرعًا وقدرًا - وهي قلة المؤمنين في جنب الكفار توجب للمسلم نظرة متوازنة معتدلة:

(أ) فالذين يطمعون في تطهير الدنيا من الكفر والشرك مثاليون، لأن الصراع بين التوحيد والشرك سيظل قائمًا حتى يأتي أمر الله.

(ب) والذين يتخذون من هذه الحقيقة تكأة للقعود عن دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وبذل الجهد في هذا السبيل مخطئون أيضًا، لأن هذه الحقيقة لم تمنع النبي ﷺ ولا أصحابه من الجهر بالدعوة، والتضحية في سبيلها، والصبر عليها.

الثانية - هي غربة أهل السنة الصابرين عليها، والمنتسبين إليها، البرآء مما عداها في أهل الإسلام.

وغربة هؤلاء في المسلمين، قد تكون في كثير من الأحيان أشد من غربة المسلمين في سائر الأديان، وكلما ازداد تمسك هذا الغريب بالسنة - علمًا وعملاً - ازدادت غربته وقل مشاكلوه وكثر مخالفوه، فهو مسافر في طريق طويل ذي مراحل، ومعه أصحاب، كلما قطع مرحلة انقطع بعضهم حتى لا يكاد يواصل السير معه إلا القليل.

ويجد هذا الغريب كرب الغربة ولأواءها وشدتها على النفس، حين يكون المنابذون له، المسفهون لرأيه، هم من إخوته في الدين!

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة   على المرء من وقع الحسام المُهَنَّد

فالمسلم لا يجب أن يحاربه الكفار، ويضعوا العقبات والأشواك في سبيله، بل العجب لو لم يفعلوا ذلك.

لكن أن يكون إخوانه في الدين هم القائمون بهذا الإيذاء، فذلك الجرح الذي لا يندمل، ولذلك قال سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ: «استوصوا بأهل السنة خيرًا، فإنهم غرباء»[١].

هل فهمتي الآن أيتها الأخت المسلمة، معنى وحقيقة الغربة التي ستقابلينها، حتى لا تشعرين بضيق أو حزن، أو يحدث عندك انهزام نفسي يوقفك عن السير إلى الله.

ربما تجدين الغربة بين أهلك في البيت الواحد، مع والديك أو مع زوجك وربما مع أقاربك أو جيرانك وهكذا، المهم أن يكون شعورك بهذه الغربة دافعًا لك إلى مزيد من العطاء والتضحية والتحمل، والقيام بالدعوة إلى الله علمًا وعملاً، لا عائقًا لك عن السير إلى الله.

■ **وإليك أهم الوسائل التي تعينك على دفع هذه الغربة ما أمكن:**

١ـ **الصحبة المؤمنة:** حيث تواجدك في مجتمع الأخوات المستقيمات الذي يجعلك تشعرين دائمًا بالمناخ الآمن المطمئن، والذي يدفع عنك وساوس الشيطان، ويعينك على طاعة الله تعالى.

٢ـ **القيام بمهمة الدعوة إلى الله:** حيث تعليم غيرك العلم الشرعي، وقيامك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما يجعلك دائمًا في إيمان متزايد، واتصال وثيق بالله، يدفع عنك الشعور بالغربة والوحدة.

---

(١) «الغرباء الأولون» (ص:٤٨-٥١) باختصار وتصرف.

٣ ـ الصبر: فعلى وهج النار الملتهبة ـ نار الفتنة بجميع أنواعها ـ تتميز معادن الناس، فينقسمون إلى مؤمنين صابرين، وإلى مدَّعين أو منافقين، وينقسم المؤمنون إلى طبقات كثيرة بحسب شدة صبرهم وقوة احتمالهم.

فبالصبر تحفظ المسلمة على نفسها نقاء عقيدتها، وصفاء إيمانها، وحمايتها من الردَّة التي تطل برأسها على صورة مذاهب أو مناهج أو أفكار بالية عفنة.

٤ ـ ذكر الله تعالى: الذي يجعل المسلمة دائمًا في اتصال وثيق مع الله، فتطمئن نفسها دائمًا وتسكن وتهدأ، وتنتصر دائمًا على شيطانها ووساوسه.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (سورة الأحزاب: ٤١-٤٢).

وقال تعالى في الحديث القدسي: «أنا عند حسن ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب مني شبراً تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت منه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[1].

٥ ـ الإكثار من تلاوة القرآن الكريم بتدبر وخشوع: وذلك لأن مثل هذه القراءة الخاشعة تجلي البصائر الكليلة وتشفي الصدور العليلة، فإذا لزمت المسلمة التلاوة في تمهل وتدبر وتخشع، نزلت عليها السكينة والطمأنينة وقرَّت عينها بأنوار القرآن، وإلى هذا يدعونا الله تبارك وتعالى فيقول: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (سورة ص: ٢٩).

---

(١) رواه الشيخان.

الباب الرابع

العقبات وكيفية التغلب

الباب الرابع

العقبات وكيفية التغلب عليها

العقبة الأولى

قرينات السوء

الصحبة الفاسدة القديمة، التي لا تدعها تفكر فيما يصلحها، وينجيها، لا يريدونها تتركهن وتذهب في طريق آخر، فهن متبرجات ويردنها هي الأخرى أيضًا متبرجة، هن يذهبن إلى النوادي ودور السينما والمسارح ويختلطن بالرجال، فلماذا تنعزل هي عنهن؟

حرب ضروس تشنها هذه الصحبة الفاسدة، حتى تتقاعس عن التمسك بدينها، تأثرًا بهن، أو حرجًا منهن، ثم لا يغنين عنها من الله شيئًا يوم القيامة.

وكم من فتاة تحطمت، وانتكست، وتبلد حسها، ووهنت مشاعرها، بسبب الرفقة السيئة.

وكم من فتاة تهدمت حياتها، وانسلخت من دينها وأخلاقها، وأصبحت منبوذة من المجتمع بسبب قرينات السوء.

وكم من فتاة نست ربها وعقت والديها، وأخذت تنغمس في الملذات والشهوات مع رفقة من شياطين الإنس.

وكم من فتاة تعرت، وأصبح التبرج عندها دينًا، وأضاعت الصلاة، ولم تعرف للآخرة طريقًا، ولا لطاعة ربها ونبيها سبيلاً، بسبب رفقة السوء.

وقد حذرنا الشرع الحنيف من الرفقة السيئة، وحثنا على صحبة الصالحين الطيبين.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ (سورة الفرقان: ٢٧-٢٩).

وقال أيضًا: ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة الزخرف: ٦٧).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحْذِيك[(١)]، وإما أن تبتاع منه[(٢)]، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا منتنة»[(٣)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي»[(٤)].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «المرء مع من أحب»[(٥)].

وقال أيضًا: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[(٦)].

---

(١) أي يُعطيك.
(٢) أي تشتري منه.
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه أبو داود والترمذي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٧٣٤١).
(٥) متفق عليه.
(٦) رواه الترمذي وابن ماجه وأبو داود (٢/ ١٢٢٦) برقم (٧٣٤١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (٢٤٧٢).

قال أحد العلماء: الأصحاب ثلاثة: صاحب كالهواء، وصاحب كالدواء، وصاحب كالداء؛ أما الصاحب الذي كالهواء، فهو الذي لا تستغني عنه، وهو الذي يقربك من الله، ويعرفك على الله، ويُحبب إليك ذكر الله، والصاحب الذي كالدواء هم أهل المنافع، لا تحتاج إليه إلا وقت الطلب كالخباز والنجار وغيرهما، والصاحب الذي كالداء فهو الذي يُعديك وهو كالسم الزُعاف، وهو الذي يقربك من النار، ويقودك إلى الخزي في الدنيا والآخرة.

وقال بعض العارفين، الأخ الصالح خير من نفسك، لأن النفس أمارة بالسوء، والأخ الصالح لا يأمر إلا بالخير.

وصدق الشاعر حين قال:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ■■■ فكل قرين بالمقارن يقتدي
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ■■■ ولا تصحب الأردي فتردى مع الردي

وقال آخر:

انت في الناس تُقاس ■■■ بمن اخترت خليلاً
فاصحب الأخيار تعلوا ■■■ وتنل ذكراً جميلاً

وقال آخر:

هموم رجالٍ في أمورٍ كثيرةٍ ■■■ وهمي في الدنيا صديقٌ مساعد
نكون كروح بين جسمين قُسِّمت ■■■ فجسماهما جسمان والروح واحد

ويقول الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: لولا القيام بالأسحار، وصحبة الأخيار، ما اخترت البقاء في هذه الدار.

ويقول أحد السلف: عليك بصحبة أهل الخير ممن تسلم منه في ظهرك، وتعنيك رؤيته على الخير ويذكرك الله.

ويقول آخر: ينبغي للمؤمن أن يجانب طُلاب الدنيا، فإنهم يحثونه على طلبها، وذلك يبعده عن غايته، ولابد أن يحرص ويجتهد في عشرة أهل الخير وطلب الآخرة.

(فصل) أثر الصحبة الطيبة

ظهر من الأدلة السابقة من الكتاب والسنة، أن الصحبة الطيبة، والرفقة الصالحة، تسير بك إلى الله، وتدلك على الخير، وتدعوك إلى النور والهداية.

الرفقة الصالحة تنتفعين بدعائها لك حية وميتة، وتذكرك بالخير والصلاح عند غيرك، وتذب عن عرضك في مغيبك وحضرتك.

الرفقة الصالحة تعينك على طاعة الله، وإن رأت منك تهاونًا أو تقصيرًا شَدَدْنَ على يديك، وزدن في همتك، وحذرنك من همزات الشياطين.

لذلك فإن الصحبة الطيبة من أعظم الأسباب لهداية المرء، بعد فضل الله تعالى، ولعل هذه الصحبة الخيرة من الذين قال فيهم النبي ﷺ: «إن من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر»[1].

وهذه قصة لفتاة كان للصحبة الطيبة الأثر العظيم في انتشالها من حياة الغفلة والضياع إلى النور والخير والسعادة، فأصبحت بعد ذلك من الداعيات لله، تقول عن نفسها:

---

(١) حديث حسن، رواه ابن ماجه «السلسلة الصحيحة» برقم (١٣٣٢)، وانظر «صحيح الجامع» برقم (٢٢٢٣).

عشت بداية حياتي في ضلال وضيـاع وغفلة، بين سهر على معاصي الله، وتأخـير الصلاة عـن وقتهـا، ونوم، وخروج لـلملاهي والحـدائق، والافتـتان بالأزياء والموديلات افتتانًا شديدًا، بل إن هذه التوافه كانت تشغل تفكيري حتى في الصلاة.

واستمريت على هذه الحالة، وحالتي تـزداد سوءًا يومًا بعد يومًا، وفي نهاية المرحلة الثانوية، يسر الله لي الهـداية على يد مجموعة من الأخـوات، استمعت إلى حديثـهن فأثر ذلك فيَّ، مما جعلني بـعد التخرج ودخـول الجامعـة، ألتحق بقسم الدراسات الإسـلامية، أمَّا حب الدنيا وحب الموديـلات التي كانت تسيطر على كياني فقد أزاله الله عني، وهذا من فضل الله عليَّ ورحمته بي[(١)].

وهذا ابن القيم ـ رحمه الله ـ يقول عن شيخـه ابن تيمية: «وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وسـاءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض، أتينـاه، فـما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا».

وقال أحد السلف: جزاء من صاحب الصالحين ثلاثة أمور:

أن يزيده الله علمًا وفهمًا وتوفيـقًا، وأن تدركه دعوتهم في الدنيا، وأن ينال شفاعتهم في الآخرة.

وبالجملة فالصحبة الطيبة منفعة لك من كل وجه في دينك ودنياك، كما قال ﷺ: «مثل المؤمن مثل النخلة ما أخذت منها من شيء نفعك»[(٢)].

---

(١) «العائدون إلى الله» لمحمد المسند باختصار.

(٢) رواه الطبـراني في «الكبيـر» من حديث ابن عـمر، وصـححـه الألباني في «صـحيح الجـامع» برقم (٥٨٤٨).

يقول الأستاذ/ عبد الله ناصح علوان: (لاشك أن الداعية هو أولى من غيره في صحبة المتقين الأخيار، ومعاشرة أصحاب القلوب وأهل المعرفة بالله، وذلك لسببين:

الأول ـ لكون الشرع أمر بصحبتهم وملازمتهم.

الثاني ـ لاكتساب التقوى والروحانية والنصح منهم.

أما لكون الشرع أمر بصحبتهم وملازمتهم:

فلقوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة التوبة: ١١٩).

ولقوله ﷺ فيما رواه أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي»**.

ولقول جماعة من السلف: **«اصحب من ينهضك حاله، ويدلك على الله مقاله»**.

ومن فضائل الصحبة الخالصة، والمحبة الصادقة.. أن المرء مع من أحب ولو كان المحبوب دونه تقى وعلمًا ومنزلة.. بل يكون معه في الجنة إن شاء الله، وذلك لما روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«المرء مع من احب»**، وفي رواية: قيل للنبي ﷺ: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟، قال ﷺ: **«المرء مع من أحب»**.

■ **وللصفوة المختارة من أهل المعرفة بالله علامات:**

من علاماتهم: التزامهم أمر الشرع بإخلاص نية، وصدق طاعة، واستمرارية عمل.

ومن علاماتهم: أن لا تظهر منهم معصية أو بدعة أو أية مخالفة شرعية.. لكونهم المتبعين الملتزمين الأطهار.

ومن علاماتهم: الاشتغال بعيوب أنفسهم عن عيوب الناس.

ومن علاماتهم: القيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوة إيمان وشجاعة نفس.

ومن علاماتهم: أن تظهر مسحة التقوى، ونضارة الإيمان على وجوههم وملامحهم.

ومن علاماتهم: الاهتمام بشؤون المسلمين، والتحمس لقضاياهم.

ومن علاماتهم: التحرك الصادق لمسؤولية الدعوة، والتحمس المخلص لقضايا الإصلاح والجهاد والتغيير.. فإذا وجد الداعية دعاة حق، وهداة خير، وأئمة هدى، هذه مواصفاتهم، وتلك علاماتهم.. فليحرص على صحبتهم وملازمتهم والتمسك بهم وحضور مجالسهم.. دون تهاون أو تقصير. ورحم الله من قال:

تمسك إن ظفرت بذيل حر   فإن الحر في الدنيا قليل

وليحذر الداعية مصاحبة الأدعياء من دعاة السوء الذين يسقطون عن أنفسهم وعن أتباعهم أحيانًا التكاليف الشرعية، ويعطلون أحكام الإسلام، ويؤولون النصوص على نقيض ما تحتمل، ويسيرون في سلوكهم وتوجيههم على غير هدى الشريعة ومنهج السلف.. لكون أولئك لا يدعون إلا لبدعة، ولا يوجهون إلا إلى ضلال، ولا يأمرون إلا بباطل.

قال الله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (سورة النور: ٦٣).

أما لاكتساب التقوى والروحانية والنصح منهم:

فلاشك أن الداعية إلى الله إذا صحب هؤلاء النماذج من أهل التقوى والمعرفة بالله.. فإنه يكتسب منهم التقوى، ويرتشف من حالهم وقالهم معين الروحانية، بل يأخذ منهم كل ما ينفعه من أمور دينه ودنياه وآخرته، بل يسير في اطراد سيرًا حثيثًا نحو النضج والكمال والمعرفة بالله.. وكما يقولون: الصاحب ساحب، لا تقل لي: من أنا؟ بل قل لي: من تصاحب؟ تعرف من أنا!!.

وإلى هذا أشار النبي ﷺ في الحديث الذي رواه ابن حبان: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**».

ومن المعلوم بداهة أن صحبة الأخيار توجه إلى الخير والهدى، وأن صحبة الفجار توجه إلى الشر والضلال!!)[1].

(فصل) أثر الصحبة السيئة

تجنبي أيتها المسلمة من لا تبالي بالمعاصي والمنكرات، تجنبي من لا همَّ لها إلا إبداء زينتها ومفاتنها، وإظهار محاسنها للرجال الأجانب، تجنبي من ابتليت بحب الأسواق، والافتتان بالمجلات الهابطة والموديلات والأزياء، حتى أصبحت شغلها الشاغل، تجنبي من لا تعرف طريق الذكر والقرآن، بل تعرف طريق السينما والتلفاز.

فهن كما قال أحد السلف: «يخونون من رافقهم، ويفسدون من صادقهم، قربهم أعدى من الجرب، البعد عنهم من استكمال الدين، والمرء يُعرف بقرينه».

---

(١) «روحانية الداعية» (ص: ٦٢-٦٥).

فيا أيتها المسلمة .. أحذرك من قرينة السوء، أحذرك من معسولة الكلام، أحذرك ممن تدس السم في الدسم، أحذرك ممن أعطاها الله بلاغة في الكلام، فتسخره للطعن في الإسلام وتمجيد وتعظيم الكفار. أحذرك ممن لا تغتم بالمعاصي ولا تبالي بالمنكرات، فكم من فتاة تحطمت حياتها بسبب قرينات السوء، وكم من فتاة وصمت أسرتها بالخزي والعار بسبب صاحبات السوء. فانتبهي يا أُخيَّة وانظري لمن حولك ولمن تصاحبين، وابحثي عن صديقة طيبة لك تعينك على الخير، وتذكرك إذا نسيت(١).

وهذه قصة ضحية من ضحايا الرفقة السيئة:

قصة لطالبة كانت لها صديقة سيئة الأخلاق، فماذا جلبت لها؟

تقول الطالبة: لي صديقة دعتني يومًا إلى منزلها، وفي غرفتها الخاصة وبعد أن تحادثنا كثيرًا عن المدرسة وعن الثياب، ثم عن أسماء بعض الروايات الماجنة، رأيت صديقتي قفزت فجأة، وأخرجت من بين ثنايا الثياب شريط فيديو، ثم أحكمت باب غرفتها؟ وسألتني هل شاهدتي فيلمًا جنسيًا من قبل؟ ذُهلت لسؤالها المفاجئ، ثم لم تنتظر مني الإجابة، بل وضعت الشريط وأدارت الجهاز، فاستدرت أنا وأعطيتها ظهري، وطلبت منها فتح الباب لأنصرف، وقلت لها: هذا ليس من أخلاقي وأخلاقك، ما الذي حدث لك، فلم تجبني، وقامت فوضعت يدها على كتفي وأدارت وجهي وهي تقول: افتحي عينيك لقطة واحدة فقط، هيا افتحي عينيك، أرجوك.

وفتحت عيني وليتني لم أفعل، شاهدت أمرًا مهولاً رهيبًا، وشعرت كأن جمارًا ملتهبًا دخل من رأسي إلى عيني، وشعرت بقبضة في صدري، فصرت لا

---

(١) «عودة فتاة» لإبراهيم المحمود، باختصار وتصرف.

أنام الليل، وأخذني الهم والسهر والحزن، فهذا المشهد ليس من سلوكي ولا أخلاقي ولا تفكيري.

إنها قرينة السوء التي زينت لي هذا الفعل الدنيء الحقير، أصبح هذا المشهد أمامي في الصلاة، في الفصل، وفي كل مكان، إنني مصابة بمرض نفسي يكاد يقتلني»[١].

وتقول أخرى: (أريد الاستقامة ولكن أهل السوء يطاردونني في كل مكان وما أن علموا بشيء من التغيير عندي حتى شنوا عليَّ حملة شعواء وأنا أشعر بالضعف فماذا أفعل؟

نقول: معلوم كل العلم أن رفقاء السوء داءٌ عضال ووباءٌ ودمار، فهم سمٌّ ناقع وبلاء واقع؛ تجدهم يشجعون على المعاصي والمنكرات ويفتحون لمن جالسهم أبواب الشر والفساد، وما أحسن ما ضربه المصطفى ﷺ في رفقة الخير ورفقة السوء إذ قال: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك إما أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة»[٢].

لذلك فإن المؤمنة الفطنة هي التي تختار لنفسها رفيقات صالحات يُعنها على طاعة الله وعلى مكارم الأخلاق وكل ما يرضي الله ويفتحن لها أبواب الخير وأسباب الهداية بعد الله، قال ﷺ: «إن من الناس ناسًا مفاتيح للخير مغاليق للشر»[٣].

---

(١) «قرناء السوء دمروا حياتي» لنوال بنت عبد الله.

(٢) متفق عليه.

(٣) حديث حسن رواه ابن ماجه عن أنس، وقد مرَّ تخريجه ص(٥٦).

يقول المنكدر: «ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، والصلاة في الجماعة».

ويقول الشافعي: «لولا القيام بالأسحار وصحبة الأخيار ما اخترت البقاء في هذه الدنيا».

هؤلاء هم رفقة الخير. وماذا عن الذين يدسون السم في العسل؟

وحدة الإنسان خيرٌ ⁂ من جليس السوء عنده
وجليس الصدق خيرٌ ⁂ من جلوس المرء وحده

فهم يسعون دائبين لتذكير المرء بما كان عليه (ذكريات، توسلات، صور، رسائل) وكأنهم يقولون: «نسينا ما فعلنا»، حتى إذا جاء يوم الحق تبرؤوا منه: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ (سورة غافر: ٤٧-٤٨). ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (سورة البقرة: ١٦٦-١٦٧).

ولكن ليكون الرد عليهم: بل تبنا فتركنا، وخفنا فندمنا، وتذكرنا النار فأقلعنا، وتذكرنا الجنة فإليها رغبنا، فهل على هذا نُلام؟ أم به نُعاب؟ أم عنه نُصرف؟ أم ماذا يا دعاة الشر وأعوان الشيطان؟!!

لذلك نقول لمن كُنَّ رفيقات السوء عقبة في طريق استقامتها: اصبري فهذه سنة الله في ابتلاء عباده المخلصين ليعلم الصادقين من الكاذبين وليميز الخبيث من الطيب، وما دمت وضعت قدميك على بداية الطريق فاثبتي، وهؤلاء شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض لكي يردوك على عقبيك فلا تطيعيهم،

سيقلن لك هذا هوس فلا توسوسي! وهذه أزمة عارضة وتمضي!! بل كوني داعية إلى الله فيهن فقد كنت فيهن تتبادلين معهن الأسرار وتناقليهن الأخبار، فلماذا لا تدليهن على طريق الأبرار بعدما هداك الله وقذف نور الإيمان في قلبك!.

ليكن لنا عمرو بن الجموح قدوة حسنة ذلك القائل: «فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة»، فقال رسول الله ﷺ : «أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك»، وقال لبنيه: «ما عليكم أن لا تمنعوه، لعل الله يرزقه الشهادة»، فخرج معه فقتل يوم أحد.

عمرو هذا كان رفيقًا في الجاهلية لعمرو بن حرام ولكن أسلما فحسن إسلامهما كانا يتسابقان في الطاعة فإذا صلى هذا ركعتين صلى الآخر أربعًا حتى لما وقعت غزوة أحد ورزقهما الله الشهادة دُفنا في قبر واحد. فسبحان الله! من الجاهلية إلى الإسلام، فما أروع ذلك الإيمان.

■ **وعليك أُخية بأمور منها:**

١. **سؤال الله الثبات:** فمن أهم وسائل الثبات على دين الله الدعاء.

٢. **المجاهدة والمصابرة:** قال تعالى: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة العنكبوت: ٦).

٣. **اختيار الرفقة الصالحة:** تلك التي تعين على طاعة الله ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (سورة الكهف: ٢٨).

٤. **بُعد النجاة من ثلة السوء:** كوني داعية إلى الله في أوساطهن ولكن ليتم ذلك كوني على حذرٍ شديدٍ وعلمٍ وافٍ حتى لا يؤثرون ويُلبّسن عليك، وإذا

كان أولئك النفر من الجن الذين حضروا وادي نخلة وسمعوا رسول الله ﷺ يقرأ آيات الله كانوا دعاة في قومهم فأين نحن منهم: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (سورة الأحقاف: ٣١).

٥- إن لم يكن لذلك نفعٌ فاعتزال رفقة السوء وهو الحل: كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الأنعام: ٦٨). وكما أمر العالم قاتل المائة أن يعتزل قومه ويذهب إلى قرية يكثر فيها العباد والصالحون ليعبد الله معهم.

وأيضًا هنا قضية هامة جديرة بالطرح حيث إن كثيرًا ممن فتح الله على قلوبهن يتحمسن في الدعوة فنجدهن يُسارعن إلى تلقف التائبات وملازمتهن لمساعدتهن على الاستقامة وما أن تمضي فترة يسيرة حتى يضعف ذلك الحماس وتبدأ تترك تلك الفتاة التي تعاهدتها بالتدريج حتى إذا غابت أو انقطعت عنها لأي عذر من الأعذار انتكست وأدبرت، وقد تكتسب فكرة خاطئة عنها، لذلك يجب اختيار مجتمع من الفتيات الصالحات تتعاهد فيه أولئك لتسير الأمور من حسنٍ لأحسن)[١].

كيفية التغلب على هذه العقبة:

وبعد، أيتها الأخت المسلمة، فقد ظهر لك مما سبق أهمية الصحبة الطيبة، وخطر الصحبة السيئة، فإن كنت تريدين تخطي هذه العقبة الكؤود، فالزمي هذه النصائح:

(١) «معوقات في طريق استقامة الفتاة المسلمة» أم مجاهد وأم محمد (ص: ٥٢-٥٨).

١ ـ عليك باستنفاذ الوسائل الممكنة والمتاحة لك في دعوة صُحبتك القديمة، كي يسرن معك في طريق النور الهداية.

٢ ـ إنهاء هذه الخلة والصداقة معهن، بعد استنفاذك لكل الوسائل، وشعورك بأن بقاء صحبتك لهن تضرك.

٣ ـ الالتحام والارتباط بالصحبة المؤمنة الجديدة، ومجالستهن وعدم الانصراف عنهن، فبهن تتأثر المسلمة، ومنهن تتعلم، وبهن تقوى إن شاء الله تعالى على تخطي عقبات كثيرة بإذن الله.

٤ ـ لابد من تحديد مواصفات الصحبة الخيِّرة لك، وإليك أهمها:

(أ) أن تكون صاحبتك متمسكة بدينها عاملة بمقتضاه من الأوامر، مجتنبة النواهي.

(ب) أن تكون ذا خلق قويم، حافظة للسانها وجوارحها.

(جـ) أن تكون ممن يعرفن الطريق إلى المسجد، وإلى كتاب الله، الحريصة على التفقه في الدين.

(د) ألا تكون صاحبة دنيا، تحرص على الدنيا وزخرفها، مفتونة بها، مشغولة بطلبها.

(هـ) أن يكون الحياء شعارها، وأن تحب لأخواتها من الخير ما تحبه لنفسها.

العقبة الثانية
ضغط الأهل والأقربين

أرسلت لي مجموعة من الأخوات رسائل يسألن فيها عن المخرج والسبيل. فهذه أمها لا تريدها أن تلتزم بالجلباب الواسع والخمار الطويل، وأخرى والديها أو أحدهما لا يوافقان على ارتدائها النقاب، وثالثة يمنعها زوجها من الذهاب إلى المسجد لحضور دروس العلم، ورابعة تشكو من سخرية أقاربها وأهلها وجيرانها لها بسبب التزامها واستقامتها على الدين، وخامسة وسادسة.. إلخ.

والمتأمل في واقع الناس يجد أن الأهل يحدوهم الخوف على أبنائهم من أن يصابوا بأذى، وبعضهم الآخر تأخذه العزة بالإثم ويكبر عليه أن يسبقه صغيره بالهدى، فيحاول صده والضغط عليه بشكل أو بآخر، وكثير من الأمهات يعتقدن أن سلوك بناتهن هذا الطريق معناه تأخر زواجهن، فمن الذي يرى ابنتها وهي متنقبة، أو حتى مرتدية الجلباب الطويل الواسع والخمار الطويل، ومن الذي سيتقدم للزواج من ابنتها وهي تقول: هذا حرام، وهذا حرام، ولا أفعل كذا، ولا أدخل في بيتي كذا، ولابد أن يكون بيتي كذا، لا لشيء إلا لأنها أصبحت تسير في طريق الهداية ولا تود أن ترتبط بمن يأخذ بيديها إلى الوراء، إلى غير ذلك مما نلمسه جميعًا في واقعنا. ولاشك أن الأخت المسلمة تجد ضغطًا عليها غير عادي، وآلامًا نفسية تسري بين ضلوعها، بل وفي دمها، ووساوس شيطانية، كل ذلك يدفعها دفعًا للنكوص على عقبيها، وعدم سلوك هذا الطريق، والاكتفاء ببعض القشور.

▪ كيفية التغلب على هذه العقبة:

١ ـ الصبر والثبات:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (سورة التوبة: ٢٤).

(فمفهوم النص في الآية أن الثبات أمام ضغط القرابة، والصمود أمام إغراءات المال والسكن، والاندفاع الاعتقادي والنفسي على حب الله والرسول، والجهاد في سبيل الله، هو من مقتضيات الإيمان، وأسس الإسلام، فبدونها لا يكون المسلم ـ وعلى الأخص الداعية ـ مؤمنًا بحق، ومسلمًا بصدق، مهما تبجح بالإيمان وتشدق بالإسلام)[١].

فعلى الأخت المسلمة أن تقابل هذا الضغط من أحب الناس إليها، ومن غيرهم بالصبر والثبات، وألا تهن ولا تحزن، ولتعلم أن النصر مع الصبر.

(إن التاريخ مليء بقصص وحوادث وأخبار من تحملوا هذه الضغوط وصابروا عليها تمسكًا بدينهم.

ولعل من أجل هذه الأمثلة وأبرزها قصة نبي الله إبراهيم ﷺ حيث واجه ضغوط من والده ومن قومه لمنعه من نشر الدعوة والتمسك بها، ولكنه رفض الرضوخ لهذه الضغوط، واستمر على منهجه مضحيًا بنفسه وماله من أجل دينه لذا أثنى الله عليه فقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ

---

(١) «عقبات في طريق الدعاة» لعبد الله ناصح علوان (١/ ٢٧٠).

تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (سورة الممتحنة: ٤).

فلم ينجح والد إبراهيم وقومه في صده عن هذا الطريق، بل إنه بذل الجهود لدعوتهم للتوحيد وعبادة الله، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (سورة مريم: ٤١-٤٨).

إن البيئة الفاسدة لم تمنع إبراهيم من التمسك بدينه والمحافظة عليه، بل بدأ يخص والده بالدعوة مع تهديده له بالطرد: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة الأنعام: ٧٤).

أخي الحبيب هل خارت قوى إبراهيم عند الشدائد؟ هل ضعف إيمانه؟ لا بل واصل المسير وتحمل الكثير من أجل هذا الدين بل وقدح في معبودات قومه: ﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ (سورة الصافات: ٨٥-٨٦)، لابد أن تعرف أن الأب يجب أن لا يطاع في معصية الله وأن لا يرضي المخلوق في غضب الخالق مهما كان هذا المخلوق، إنَّ رضى الله هو مطلب كل إنسان عاقل.

فليت الذي بيني وبينك عامر ○■○ وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين ○■○ وكل الذي فوق التراب تراب

وقد يقف قارئ فيقول: أتقارننا بالأنبياء فأقول لا، ولكن نأخذ منهم العبر والدروس لقد جعل الله إبراهيم والذين معه أسوة حسنة يحتذي بهم كل مسلم وسوف أذكر بعض قصص الصحابة في هذا المضمار وتضحياتهم فلقد أورد الذهبي في سيره عندما ترجم لسعد بن أبي وقاص ما يلي:

قال سعد نزلت فيَّ هذه الآية: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (سورة لقمان: ١٥)، فقد كنت برًا بأمي فلما أسلمتُ قالت: يا سعد ما هذا الدين الذي قد أحدثت لتدعنه أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال يا قاتل أمه. قال: فقلت لا تفعلي يا أماه إنني لا أدع ديني هذا لشيء فمكثت يومًا وليلة لا تأكل ولا تشرب وأصبحت وقد جهدت فلما رأيت ذلك قلت: يا أماه تعلمين والله لو كان لك مئة نفس فخرجت نفسًا نفسًا، ما تركت ديني، إن شئت فكلي أو لا تأكلي فلما رأت ذلك أكلت.

هذه أمه استغلت العواطف لثني ابنها عن الإسلام، استخدمت أسلوبًا ماكرًا لتحرك عواطفه نحوها، ولكن الإيمان الصادق لا تصده هذه العواطف ولا غيرها.

ثم ننتقل إلى صحابي آخر له قصة قريبة من هذه القصة، إنها قصة مصعب بن عمير الشاب المدلل في الجاهلية وأكثر أهلها عطر، الذي ضحى بوالدته ومالها ليظفر بالإسلام عندما يقارن الإسلام بكنوز الدنيا فإنه المنتصر.

إن قصة مصعب نبراس يستضيء به الشباب، إنه رائعة من الروائع وبطولة وتضحية اجتازها مصعب بامتياز، وأصبحت مثلاً لكل الأجيال. أم تبدأ خطوات ومراحل متعددة تتدرج فيها لصد ابنها عن الإسلام فتهدده بحرمانه من الميراث والمال والذي ترك بسببه الآلاف، ثم تهدده بإيذاء نفسها لعلمها بمدى حبه لها،

ثم انتقلت إلى مرحلة عملية وهي إيذاؤه ولكنه صبر واحتسب. إن كل هذه المحاولات لم تنجح مع من دخل الإيمان في قلبه.

إن السر في صبر هؤلاء هو بكل بساطة أن هؤلاء يعلمون مدى المصاعب والمتاعب المصاحبة لهذا الدين فهو طريق مليء بالأشواك والأكدار والمصاعب والمتاعب لذا رأوا أن التضحية والصبر هي الطريق الوحيد للتمسك به والانتصار لذا سلكوا هذه الطرق الوعرة واجتازوها بنجاح.

﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (سورة الأحزاب: ٢٣).

لا تعتقد أخي الحبيب أن الاقتداء بهم صعب.. بل هو يسير وسهل لمن صدق مع الله ولمن رغب في الثمن.

وأعود إلى سير هؤلاء الأفذاذ الأبطال أصحاب محمد ﷺ وأقف متعجبًا مع بطولة وتضحية وصبر أبي جندل رضي الله عنه الذي تعرض لابتلاء صعب وصعب جدًا، عذبه والده وآذاه مستغلاً زعامته لقريش وأولاه التنكيل والتعذيب ورغم ذلك لم ينجح في صد ابنه عن الإسلام وكيف ينجح أي أحد في صده إذا كان الإيمان وقر في قلبه وأحس بلذاته؟

ثم تعرض لفتنة أخرى قد تكون أشد وأنكى ولكنه تحملها أيضًا فقد سلمه رسول الله ﷺ للمشركين وفاء بالعهد وإليك القصة: قال ابن هشام: جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون في الفتح، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله ﷺ في نفسه، دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكوا، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلابيبه ثم قال:

يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا. قال: «صدقت»، فجعل يجره بتلابيبه ليرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنوني في ديني؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك فرجًا ومخرجًا إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم**»، قال: فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول: اصبر يا أبا جندل فإنما المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب. قال: ويدني قائم السيف منه قال: يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه فظن الرجل بأبيه ونفذت القضية.

فيا أيها المسلم أين أنت من هؤلاء من صبرهم وتضحياتهم وتحملهم الشدائد في سبيل الله، فالبدار البدار للحاق بهم:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالصالحين فلاح

وبعد هذا كله يتضح لنا أن الأذى مصاحب لهذه الدعوة وأن الأذى قد يكون من الأب والأم، ويتصور بعض الشباب أن والده إذا منعه من السير مع الصالحين فإن هذا من قبيل النصح، ويستبعد جدًا أن يكون هذا من الإبتلاء لاعتقاده أن الابتلاء لا يكون إلا من الأب الكافر فحسب وإلا لصبر واحتسب.

لذا تجد الشاب يتقبل من والده هذا المنع ولو علم أنه ابتلاء لثابر على ذلك وصابر وتحمل تبعات ذلك كله)[١].

---

(١) «من أخبار المتكسبين» صالح بن مقبل العصيمي (ص:١٥١-١٥٦).

٢ ـ التأسي بأصحاب القدوة من الأنبياء والصالحات قديمًا وحديثًا:

فإن التأسي بهم يهون على المسلمة أمورًا كثيرة، ويرزقها الرضا والتسليم والقناعة، بأن هذا هو ثمن الطريق إلى الجنة، فتصبر وتحتسب الأجر عند الله تعالى، ويهون عليها ما تلاقيه عندما تجد من هم أفضل منها قد لاقوا ولاقوا من أهليهم وأقاربهم من أجل الثبات على طريق الحق.

فهذه سمية بنت خُباط أم عمار بن ياسر، كان بنو مخزوم إذا اشتدت الظهيرة، والتهبت الرمضاء، خرجوا بها هي وابنها وزوجها إلى الصحراء، وألبسوهم دروع الحديد، وأهالوا عليهم الرمال المتقدة، وأخذوا يرضخونهم بالحجارة، وكان رسول الله ﷺ يمر بهم وهم يعذبون في رمضاء مكة فيقول: «صبرًا آل ياسر، موعدكم الجنة».

*** وغير سمية كثيرات احتملن فوق ما احتملت:**

فمنهن من كانوا يلقونها، ويحملون لها مكاوي الحديد، ثم يضعونها بين أعطاف جلدها، ويدعون الأطفال يعبثون بعينها حتى يذهب بصرها.

ومنهن من كانوا يسقونها العسل، ويوثقونها بالأغلال، ثم يلقونها بين الرمال، ولها حرٌّ يذيب اللحم، ويصهر العظم، حتى يقتلها الظمأ.

وهذه أسماء ﵂ قالت: «أتى أبو جهل في نفر، فخرجت إليهم، فقالوا أين أبوك؟ قلت: لا أدري والله أين هو؟ فرفع أبو جهل يده، ولطم خدي لطمة، خرَّ منها قُرطي، ثم انصرفوا».

وما خبر الخنساء عنَّا ببعيد، فلما وافتها النعاة بخبر مقتل أولادها وهم أشطار كبدها، ونياط قلبها، لم ترد على أن قالت: «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من الله أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة».

إلى غير ذلك من الصور المضيئة التي تُظهر لنا بوضوح، كيف صبرت المرأة المسلمة من أجل دينها، فما بالكن أيتها المسلمات بما هو أهون من ذلك، ألا وهو ضغط الأهل أو الأقارب أو الجيران.

٣ـ المجادلة بالتي هي احسن:

فعلى المسلمة ألا تهمل الشبهات التي يثيرها أهلها وأقاربها إهمالاً مطلقًا، بل تتحين الظروف المناسبة، وترد على هذه الشبهات معتمدة في ذلك على حشد ما تستطيع من الأدلة من كتاب الله تعالى وأحاديث النبي ﷺ، ثم أقوال أهل العلم، لأن كثرة سرد الآيات والأحاديث تُلجم الكثير، لأنه لا يستطيع أن يعترض أحدٌ عليها، ولكنه يحاور من قريب أو من بعيد، وعليها أيضًا أن تكون واثقة من نفسها وذلك بالتسلح بالعلم الشرعي، والفهم الدقيق لحقيقة الدين، والدعوة إليه، حتى لا يراها الناس مترددة، أو عاجزة عن الإجابة أو رد الشبهات، قال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل: ١٢٥).

٤ـ البحث عن الرفقة الصالحة:

فبهن تثبت، ومعهن تتعاون، ومنهن تأخذ النصيحة والعون بعد الله تعالى، وبفضل صحبتهن تتحصن بالإيمان والأخلاق الفاضلة، والصبر فيهون عليها إن شاء الله كل شيء.

بل هي معهن على العموم، إن نسيت ذكروها، وإن ذكرت أعانوها، وإن مالت عن الحق احتضنوها ووجهوها.

ويتضح لنا ذلك أيضًا من حديث الرجل الذي قتل مائة نفس، كما قال له العالم: «انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله تعالى، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء»(١).

---

(١) متفق عليه.

قال ابن علان ـ رحمه الله ـ: وفيه ـ أي في الحديث ـ الانقطاع عن إخوان السوء، ومقاطعتهم ما داموا على حالهم، واستبدال صحبة أهل الخير والصلاح والعبادة والورع، ومن يُقتدى بهم ويُنتفع بصحبته لتتأكد بذلك توبته وتقوى أوبته، فإن كل قرين يقتدي بقرينه[1].

العقبة الثالثة

الدنيا

الدنيا بما فيها من حب المال والجاه والنساء، وبما فيها من متاع زائل وشهوات فانية، إن لم تتحصن المسلمة بالله، فلابد أن تقع فريسة في شراكها وتبدأ في البحث عن أقوال من هنا أو هناك، كي تجد رخصة أو فتوى طائشة، توافق هواها أو تشبع شهوتها، حتى لا تُلام ـ بزعمها ـ من أهل الدنيا، ولا من أهل الآخرة.

والركون إلى الدنيا بطلبها، والافتتان بها، والفرح بمتاعها إذا جاء، والحزن إذا ضاع، آفة خطيرة، تُقعد المسلمة عن صراط الله المستقيم، فهذه كانت مجتهدة في طلب العلم، وأخرى كانت نشيطة في حقل الدعوة، وثالثة مقبلة على حفظ القرآن، ورابعة تحرص على التزامها بدينها واستقامتها، فما إن فُتحت لهن نافذة الدنيا، وقعن فيها وسقطن وتراجعن، وأصبحت صورتهن المضيئة المشرقة، سرابًا سار مع رياح الافتتان بالدنيا.

(١) «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» (١/ ٩٨).

■ **كيفية التغلب على هذه العقبة:**

وحتى لا تقع المسلمات فريسة للدنيا، وقبل أن يرتددن على أعقابهن، وقبل أن يسوء التزامهن، وقبل أن تصبح صورتهن مختلفة عن أقوالهن، نقدم لهن العلاج، ألا وهو النظرة الصحيحة للمسلمة تجاه الدنيا، وفق القواعد الآتية:

١ ـ مقام الدنيا في الآخرة ومدى صغارها وتفاهتها عند الله، وذلك حفاظًا عليها من فتنتها وغوايتها.

قال تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (سورة الكهف: ٤٥-٤٦).

وروى الترمذي عن سهل الساعدي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا شربة ماء»[(١)].

٢ ـ حذر الإسلام من أن تصبح الدنيا مبلغ التنافس بين الناس، قال ﷺ: «والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تُبسط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم فتتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم»[(٢)].

٣ ـ حذر الإسلام من أن يطغى حب الدنيا على القلوب، فيشغلها عن التزود لآخرتها، فحض على الزهد بها وتخليص النفس من أسرها.

سُئل الإمام أحمد بن حنبل: هل يكون المرء زاهدًا ومعه ألف دينار؟ قال: نعم، قيل: وما آية ذلك؟ قال: آيته أنه إذا زادت لا يفرح، وإذا نقصت لا يحزن.

---

(١) قال الترمذي: حديث حسن صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٥٢٩٢).

(٢) متفق عليه.

وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك.

فما أجمل المسلمة حين تسدد وتقارب وتوازن، وما أعظمها حين تجعل الدنيا مطية الآخرة، وما أقواها حين لا تجعل للدنيا عليها سبيلاً.

٤ ـ تذكر الموت وأهوال القيامة، وذاك دواء ناجع إن شاء الله للقلوب القاسية، إن استحضرت المسلمة دائمًا الموت وأهوال يوم القيامة، بقلب قانت لله ونية خالصة له، وعزيمة صادقة، فإن ذلكَ يحملها على التجافي عن دار الغرور، والإقبال على الله، فيقصر الأمل وتنشط النفس في عبادتها لله تعالى.

(فصل) تذكرة

إن من نظرت إلى الدنيا بعين البصيرة، أيقنت أن نعيمها ابتلاء، وحياتها عناء، وعيشها نكد، وصفوها كدر، وأهلها منها على وجل، إما بنعمة زائلة، أو بلية نازلة، أو منية قاضية.

مسكينة.. من اطمأنت ورضيت بدار حلالها حساب، وحرامها عقاب، إن أخذته من حلال حوسبت عليه، وإن أخذته من حرام عُذبت به، من استغنت في الدنيا فتنت، ومن افتقرت فيها حزنت، ومن أحبتها أزلتها، ومن التفتت إليها وأحبتها أعمتها.

■ **والناس في هذه الدنيا قسمان:**

القسم الأول ـ فطناء.. وقد وفقهم الله، فعلموا أنها ظلٌ زائل، ونعيمٌ حائل، وأضغاث أحلام، بل فهموا أنها نِعَمٌ في طيها نقم، وعرفوا أنها حياة

فانية، وأنه معبر وطريق إلى الحياة الباقية، فرضوا منها باليسير، وقنعوا منها بالقليل فاستراحت قلوبهم من همِّها وأحزانها، واستراحت أبدانهم من نصبها وعنائها وسلم لهم دينهم، وكانوا عند الله هم المحمودين، فلم تشغلهم دنياهم عن طاعة مولاهم، جعلوا النَّفَسَ الأخير وما وراءه نصب أعينهم، وتدبروا ماذا يكون مصيرهم، وفكروا كيف يخرجون من الدنيا وإيمانهم سالم لهم، وما الذي يبقى معهم منها في قبورهم، ومن لا يغنيهم من الله شيئًا.

﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (سورة الشعراء:٨٨-٨٩)، ﴿يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا﴾ (سورة الدخان:٤١)، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ (سورة عبس:٣٤-٣٦)، .

ويبقى عليهم وبال ما جمعوا وما عمروا في غير طاعة الله، أدركوا كل هذا فتأهبوا للسفر الطويل، وأعدوا الجواب للحساب، وقدَّموا الزاد للمعاد، وخير الزاد التقوى، فطوبى لهم، خافوا فأمنوا، وأحسنوا ففازوا وأفلحوا.

إن لله عبادًا فطنًا ... طلَّقوا الدنيا وخافوا الفِتَنا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لأحدٍ سكنا
جعلوها لجَّة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سُفنا

والقسم الثاني ـ قوم انصرفوا إلى الدنيا، حتى أصبحت همهم وشغلهم الشاغل، فنسوا الله فنسيهم، وغفلوا عن لقاء الله تعالى، وهان عليهم تعظيم أوامر الله تعالى، فخابوا وخسروا(١) .

---

(١) «موارد الظمآن» للشيخ عبد العزيز السلمان، بتصرف (١/ ٥٤٠).

العقبة الرابعة

الـــزواج

لا أدري ماذا يفعل الزّواج بالمرء؟

أخوات بعـد الزواج حسن إسـلامهن واستـقام خطاهن، وكـثر إنتـاجهن، وأخريات بعد الزواج بهت إسـلامهن، وتعثرت خطواتهن على طريق الاستـقامة والدعوة، وقل إنتاجهن، حتى انطوى ذكرهن عن مسرح الدعوة ووجودهن، بل الأخطر من ذلك أنهن أصبحن من طلاب الدنيا، والباحثين عنها!!

وهؤلاء الأخوات كـان الزواج لهن عقـبة على طريق الالتـزام، ولكن ليس بسـبـبه هو، وإنما بسبب الفـهم الخاطيء لمعنى وحقيـقة الزواج، فلم يتقـيدن في زواجهن بالقـواعد والأسس الكفيلة بتـحقيق إسلامـية البيت، وسعـادة أفراده، وصلاح ذريتـه، أعمتـهن المظاهر عن الجواهر، وشغـلتهن القشـور عن اللباب، فضللن الطريق وانتكسن.

أعرف أخوات كان لهن صـولات وجولات، وحَسُنَ التزامهن واستـقامتهن على الدين، وبعد الزواج أصـبحت الدنيا محـببة إلى قلوبهن، وأخذن يتـحدثن عنها وعن متاعها، يفرحن إن ملكن منها شيئًا، ويحزن إن فقدن منها شيئًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- **كيفية التغلب على هذه العقبة:**

وللتغلب على هذه العقـبة، فلابد من معرفة وتحقـيق القواعد والأسس التي وضعها الإسلام لإنشاء البيت الإسـلامي الناجح، الذي ينعم فيه الزوجان بنعمة الزواج، ويتدارك فيه المرء تلك السلبيـات والصور الباهتة التي نراها من البعض، وإليكن هذه القواعد والأسس:

١ ـ أن يكون القصد الأول من الزواج استكمال الدين، وأن يكون الزواج عاملاً أساسيًا في تحصين النفس وتزكيتها، وكذلك في بناء البيت المسلم، ليكون اللبنة الصالحة في بناء المجتمع الإسلامي المستقيم على شريعة الله، وكل هذا من سلامة القصد.

قال ﷺ : «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه الله على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الباقي»[(١)].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»[(٢)].

ويعبر القرآن عن أمنية غالية من أماني المؤمنين حيث يصفهم بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (سورة الفرقان: ٧٣-٧٤).

٢ ـ حسن الاختيار، وهو لاشك من العوامل المثبتة على الطريق، فعندما تسيء المرأة الاختيار، تفتقد إلى المُعين بعد الله تعالى، وعندما تتهاون في الشروط الواجبة فيمن تريد أن ترتبط به ـ بدافع الرغبة في الزواج فحسب ـ تجني ثمارًا غير طيبة، كحدوث مشاكل بين الزوجين، واختلاف في أمور لا تحتاج إلى اختلاف، كالاختلاف في الالتزام ببعض أمور الشرع.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في «الصحيحة» برقم (٦٢٥) عن الطبراني بلفظ: «إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين فليتق الله فيما بقي».

(٢) رواه البخاري ومسلم، ووجاء: أي وقاية.

أرسلت لي أخت تشكو زوجها، لأنه لا يريد أن تذهب إلى المسجد كل أسبوع، وأخرى تشكو لأنه اشترى جهاز التلفاز ويشاهد فيه منكرات كثيرة مع أولادها، وهي التي تجاهد وتسعى في حسن تربيتهم، وثالثة تشكو زوجها لأنه يرفض النقاب تمامًا، إلى غير ذلك من المشاكل التي تدور حول الالتزام والاستقامة على الدين.

ولذلك إذا أحسنت المرأة الاختيار، ولم تتسرع مخافة أن يفوتها قطار الزواج، أو أن يقال عنها أنها لم تتزوج إلى الآن وعمرها أصبح كذا، أو غير ذلك من الشبهات الواهية، فإنها ستتجنب كثيرًا من المشاكل النفسية والخلافات الزوجية داخل البيت.

فلتحذر الأخوات المسلمات اللائي يفتشن عن الأشكال قبل الخصال، وعن الأموال دون الحلال، ليمتثلن أوامر الإسلام، وليكافحن رغائب الشيطان في نفوسهن، وليستجبن إلى داعي الله فيهن.

قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور: ٣٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا أتاكم من ترضون خُلُقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[(١)].

٣ - الفهم الحقيقي لمعنى الزواج في الإسلام، فبغض النظر عن أن الزواج يساعد على غض البصر وحفظ الفرج وتكثير النسل، فإن له ثلاثة معان هامة أخرى وهي:

---

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجه، وهو صحيح «السلسلة الصحيحة» (٣/ ٢٠) برقم (١٠٢٢).

أولاً - الزواج عبادة:

فالإسلام يعتبر كل عمل يقوم به المرء، يبتغي به وجه الله عزَّ وجلَّ، عبادة يثاب عليها، حتى أن اللقمة يرفعها الرجل إلى فم زوجته، إيناسًا واستئناسًا، له بها أجر، فلو نوى الزوجان بنكاحهما إعفاف نفسيهما، وإحصانهما عن الوقوع فيما حرم الله، وإكثار أمة محمد ﷺ بإيجاد أبناء صالحين، ودعاة للإسلام مجاهدين، فإن مباضعتهما تكتب صدقة لهما.

كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «... وفي بضع[1] أحدكم صدقة»، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر، قال ﷺ: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟»، قالوا: بلى، قال ﷺ: «فكذلك لو وضعها في الحلال كان له بها أجر»[2].

ثانيًا - الزواج عون على طاعة الله تعالى والاستعداد للآخرة:

ويظهر ذلك من قوله ﷺ: «إذا استيقظ الرجل من الليل، وأيقظ امرأته فصليا ركعتين، كُتبا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات»[3]، ولقوله ﷺ أيضًا: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»[4].

فإن كان العون على طاعة الله تعالى وصل إلى هذه الهمة العالية من التعاون على النوافل، فما بالنا بالفرائض؟

---

(١) جماع الرجل زوجته.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم «صحيح الجامع» (١/ ١٢٢) برقم (٣٣٣).

(٤) رواه أبو داود وابن ماجه «صحيح الجامع» (١/ ٦٥٧).

ثالثًا ـ الزواج نعمة من نعم الله عزَّوجلَّ:

لذا يجب حُسن استقبالها، وتوجيهها الوجهة الصحيحة.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة الروم: ٢١).

فعلى قدر استقبال هذه النعمة، وحسن توجيهها في طاعة الله تعالى، ينعم الزوجان بالمودة والرحمة التي هي بيد الله وحده، لا كما يفهم الكثير، بيد الفراش الوثير، أو الأثاث النفيس، أو المال والذهب والمتاع الزائل.

إن الزواج سكن يشعر فيه كل من الزوجين بالراحة الجسدية والنفسية، ولكن هيهات أن ينعم بذلك من لم يفهم المعنى الحقيقي للزواج ويقوم به.

(فصل) نماذج رائعة لنساء متزوجات

ـ ابنة سعيد بن المسيب لما أن دخل بها زوجها، وكان من أحد طلبة والدها، فلما أن أصبح أخذ رداءه يريد أن يخرج فقالت له زوجته: إلى أين تريد؟، فقال: إلى مجلس سعيد أتعلم العلم، فقالت له: اجلس أعلمك علم سعيد.

* فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي، تفقهت على أبيها وحفظت تحفة الفقهاء لأبيها، وكان زوجها يخطيء، فترده إلى الصواب، وكانت الفتوى تاتي فتخرج وعليها خطُّها وخط أبيها، فلما تزوجت بصاحب «البدائع» كانت تخرج وعليها خطها وخط أبيها وخط زوجها.

* وزوجة الحافظ الهيثمي وهي بنت شيخه الحافظ العراقي، كانت تساعد زوجها في مراجعة كتب الحديث.

■ وقال الهيثم بن جماد: كنت لي امرأة لا تنام الليل، وكنت لا أصبر معها على السهر، فكنت إذا نعست ترشّ عليَّ الماء في أثقل ما أكون من النوم، وتنبهني برجلها، وتقول: أما تستحي من الله؟ إلى كم هذا الغطيط؟ فوالله إن كنت لأستحي مما تصنع.

■ ولمَّا بلغ معاذة بنت عبد الله العدوية نبأ استشهاد زوجها وابنها، أتت النساء يواسينها في مصابها، فقالت لهن: إن كنتن جئتن لتهنئني فمرحبًا بكن، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن.

■ وذكر الحافظ ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: أن امرأة من الصالحات كانت تعجن عجينة، فبلغها وهي تعجن موت زوجها، فرفعت يدها منه، وقالت: هذا طعام قد صار لنا فيه شركاء!!

* وكانت عصمت الدين زوجة الملك الصالح نور الدين محمود، تكثر القيام في الليل، فنامت ذات ليلة عن وردها، فأصبحت وهي غضبى، فسألها نور الدين عن أمرها، فذكرت نومها الذي فوّت عليها وردها، فأمر نور الدين عند ذلك بضرب «طبلخانة» في القلعة وقت السحر، لتوقظ النائم ذلك الوقت لقيام الليل، وأعطى الضارب على «الطبلخانة» أجرًا جزيلاً، وجراية كثيرة.

وبعد.. فذاك غيض من فيض، وتلك آثار لنساء مسلمات متزوجات، لم يؤخرهن الزواج عن الله والدار الآخرة، فكنَّ خير عونٍ لأزواجهن.

فلو كان النساء كمن ذكرنا ... لَفُضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ... وما التذكير فخر للهلال

العقبة الخامسة

اتباع الهوى

الهوى الذي يدفع المسلمة إلى الترخص في دينها، وإلى اتباع الفتاوى العرجاء التي توافق هواها، فتزل قدمها بعد ثبوتها.

(فمن تأمل في أحوال الخلق واتجاهات البشر، وجد أن أكثر الناس قد اتبعوا أهواءهم وأطاعوا أنفسهم؛ فهؤلاء أموات في صورة أحياء، يتقلبون في ظلمات كُثُر، صاحب الهوى قد اتخذ هواه إلهه ومعبوده، فالهوى إمامه والشهوة قائده، صاحب الهوى قد أعرض عن تحكيم الكتاب والسنة وظن عدم الاكتفاء بهما وعدل عنهما إلى غيرهما من زبالات الأذهان.

ولقد كان من بين الإجابات التي عُرضت لنا في البحث:

* أريد الالتزام وكم من مرة فكرت فيه.

* أتمنى من كل قلبي أن أصبح مؤمنة ولكن لا أقدر ولا أعرف ما هو السبب، والله إنني دائمًا أفكر في الله وفي عذابه وصورة الموت لا تفارقني حتى أنني إذا أويت للنوم لا أدري هل سأصبح أم لا؟ وإذا ذهبت من أهلي أقول لنفسي ربما لا أرجع.

إن ضعف الإرادة المتولِّدة لدى كثير من نفوس الأخوات راجعٌ إلى تسلط الهوى على نفوس كثير من فتيات الإسلام ولكن:

أختي . . خطرة يعقبها بإذنه سبحانه ثمرة، وطالما أن هناك تفكيرًا مُسبقًا وإرادة جازمة على سلوك طريق الاستقامة فإنه بذلك سيحصل لك ما تبتغين، فراجعي حساباتك ودققي في بصيرتك أين طريق الخير من الشر؟ قال تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (سورة السجدة: ٢٤)، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة العنكبوت: ٦٩).

* وقد ذكر ابن القيم (٥٠) وسيلة للتخلص بعون الله وتوفيقه من الهوى، نذكر منها:

١ ـ عزيمة حرٍّ يغار لنفسه عليها.

٢ ـ جُرعة صبر يصبر نفسه على مرارتها تلك الساعة.

٣ ـ ملاحظته الألم الزائد على لذة طاعة هواه.

٤ ـ إبقاؤه على منزلته عند الله تعالى وفي قلوب عباده وهو خير وأنفع له من لذة موافقة الهوى.

٥ ـ التفكُّر في أنه لم يُخلق للهوى.

٦ ـ أن لا يختار لنفسه أن يكون الحيوان البهيم أحسن حالاً منه.

٧ ـ أن يتصوَّر العاقل انقضاء غرضه ممن يهواه ثم يتصوَّر حاله بعد قضاء الوطر ويتصوَّر ذلك في حق غيره حق التصوُّر.

٨ ـ أن يعلم أن الشيطان ليس له مدخل على ابن آدم إلا من باب هواه فإنه يُطيف به من أين يدخل عليه حتى يفسد عليه قلبه وأعماله.

٩ ـ أن الهوى هو حظار جهنم المحيط بها وأن اتباع الهوى من المهلكات.

١٠ ـ أن مخالفة الهوى تورث العبد قوة في بدنه وقلبه ولسانه.

١١ ـ أن اتباع الهوى يُغلق عن العبد أبواب التوفيق، وجهاد الهوى أعظم حتى من جهاد الكفر.

١٢ ـ أن لكل عبد بداية ونهاية، فمن كانت بدايته اتباع الهوى كان نهايته الذل والصغار.

يقول ابن الجوزي: «واعلم أن من غلبه هواه افتضح، فما نال الكرامات من نالها إلا بغلبة الهوى»[1].

ولقد حذرنا الله تعالى من اتباع الهوى، وبين لنا ضرره وخطره، فقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (سورة الفرقان: ٤٣).

وقال أيضًا: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ (سورة القصص: ٥٠)، وقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ (سورة الجاثية: ٢٣)، وقال: ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (سورة ص: ٢٦)، وقال: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة الأنعام: ٥٦)، وقال: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (سورة البقرة: ١٢٠)، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (سورة النازعات: ٤٠-٤١).

وغير ذلك من الآيات كثير، تبين لنا أن اتباع الهوى هو طريق الضلال والغواية، والبعد عن سبيل الله وهداه، وفقد ولاية الله ونصره للعبد.

وما من شك أن خطر اتباع الهوى يكمن في الوقوع في معاصي الله عزَّ وجلَّ، ولعل من أهم مظاهر ذلك:

١ ـ تقديم العقل على النقل، والرأي على الشرع.

٢ ـ الوقوع في شراك البدع، والبعد عن طريق السنة.

---

(١) «معوقات في طريق استقامة الفتاة المسلمة» (ص: ٢٦-٢٩).

٣ ـ عدم الحكم على الناس بالعدل.

٤ ـ التعصب الشديد لرأي أو لعالم.

٥ ـ الإقبال على الدنيا والإعراض عن الدار الآخرة.

● كيفية التغلب على هذه العقبة[1]:

١ ـ الاستعانة بالله في دفعها، ومن أهم وسائل الاستعانة الدعاء، ولذلك كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء**»[2].

٢ ـ ربط القلب بالله عزَّ وجلَّ خوفًا وطمعًا، ورغبة ورهبة، والوقوف بين يدي الله تعالى، قال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ** ﴾ (سورة النازعات: ٤٠-٤١). قال مجاهد: هو العبد يهوى المعصية فيذكر مقام ربه عليه في الدنيا، ومقامه بين يديه في الآخرة، فيتركها لله.

٣ ـ تأملُ عاقبة اتباع الهوى بعد قضاء الوطر من المعصية، قال تعالى: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (سورة الأعراف: ١٧٥-١٧٦).

٤ ـ أن تعلم المسلمة أن متبع الهوى، يُحرم من إصابة الحق ومعرفة الدليل والتوفيق في أمور الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾ (سورة العنكبوت: ٦٩)، فما حال من لم تجاهد نفسها في الله؟!!

---

(١) «مستفاد من شريط إسلامي» للشيخ محمد صالح المنجد، بعنوان «التحذير من اتباع الهوى».

(٢) رواه الترمذي والطبراني، وصححه الألباني «صحيح الجامع» برقم (١٢٨٩).

▪ - التجرد لله وحده، وإخلاص القول والعمل لله وحده، وتقديم محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ على جميع المحاب، فإن ذلك من أهم علامات صحة الإيمان.

٦ - محاسبة النفس، وسرعة التوبة إلى الله على التقصير واتباع الهوى.

العقبة السادسة

عقلية المجتمع بعللها وأمراضها

لاشك أن كل شخص يعيش في مجتمع ما، يتأثر به ويؤثر فيه، فإن لم يكن له منهج حق يتبعه ويلتزم به، فإنه ولاشك سيتأثر بما في المجتمع من سلبيات وإيجابيات بصورة يتبع فيها هواه وشهوته.

فالبيئة الاجتماعية بكل مؤثراتها وضغوطها وفتنها، تمثل عقبة خطيرة أمام من تريد أن تسلك طريق الهداية ومرضاة ربها.

فمن هذه الضغوط: ضغط الاستهزاء من المسلمة المستقيمة، والغمز بها، والسخرية منها، وضغط الافتراء والاتهام، حتى تصاب بانهزامية تُقعدها عن مواصلة السير، وجدية الالتزام.

بل إن عقلية المجتمع المنحرفة بعللها وأمراضها، تؤثر في المسلمة تأثيرًا بالغًا إن لم تكن قد تحصنت بالإيمان بالله تعالى والعلم النافع.

▪ **وهذه بعض مظاهر هذه العقلية:**

١ - ليس لدى جمهور العوام من الناس ميزان صحيح يعرفون به الحق من الباطل، والهدى من الضلال، حتى أوصلهم ذلك إلى أن استمدوا دينهم من

واقع الناس، وما وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم، فإذا ما دعتهم المسلمة إلى إقامة سُنة مثلاً، أو التزام بأمر من أمور الشرع هاجوا فيها وفسّقوها ووصفوها بالضلال، لأن ذلك خلاف ما عليه واقع الناس!!

٢ ـ أصبح الدين عند كثير من عوام الناس على هامش حياتهم، حتى أصبحوا يهتمون بالظاهر، من نُطقٍ بالشهادتين وصلاة وصيام وحج وعمرة، أما غير ذلك فالأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، حتى لو كان في ذلك معصية لله تعالى.

٣ ـ أصبح الإفتاء في أمور الشرع أمراً هيّنًا، يتعرض له كل واحد، يعلم أو لا يعلم، وتَهجَّم عليه كل من هبَّ ودبَّ، حتى صار الجاهلون والفسقة كلهم يفتون في دين الله، ويتكلمون في دين الله بلا علم ولا فهم ولا دراية، حتى رأينا مثل هذا الجدل وهذه الفلسفة والاحتجاجات الفارغة ببعض الآيات والأحاديث، فمنها على سبيل المثال:

(أ) تركهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستدلين بقوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (سورة البقرة:٢٥٦)، وهو فهم خاطئ لمعنى الآية.

(ب) تعليلهم فعل المعاصي بقوله ﷺ: «إن الدين يسر»، وما نُقل عنه أنه ما خُيِّر ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما.

(جـ) انغماسهم في الدنيا دون مبالاة بحلال أو حرام، مستدلين بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (سورة الأعراف: ٣٢).

(د) يبررون سفور نسائهم، ببعض النماذج التي ليست على المستوى المطلوب، فيقولون مثلاً: فلانة المحجبة تفعل كذا وكذا وتقول كذا وكذا، إذن فالحجاب ليس كل شيء... إلى غير ذلك من المفاهيم والأقوال الساقطة.

* **كيفية التغلب على هذه العقبة:**

١ ـ أن تعلم المسلمة أنها ليست أفضل ولا أشرف من رسول الله ﷺ ولا من الرعيل الأول، ممن آمنوا بالإسلام ونصروا النبي ﷺ وعزروه ووقروه، فهؤلاء جميعًا قد استهزيء بهم، ووجهت إليهم التهم الكاذبة والافتراءات الباطلة، ولكنهم ثبتوا على الحق، وصبروا وصابروا، وتحملوا الأذى في سبيل الله، فلتصبر المسلمة ولتثبت على الحق.

٢ ـ حضور مجالس العلماء، ومدارسة القرآن، والبعد عن الأشرار، ومصاحبة الأخيار، والتزام أخلاق الإسلام.

٣ ـ الاهتمام بترسيخ الجانب العقدي من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره.

٤ ـ محاسبة النفس كل فترة، لتدارك السلبيات، وعلاج أوجه القصور.

٥ ـ البحث عن البيئة الصالحة التي تستريح فيها ومعها.

كما في حديث البخاري ومسلم: **«انطلق إلى ارض كذا وكذا فإن بها قومًا يعبدون الله تعالى، ولا ترجع إلى ارضك فإنها ارض سوء»**[١].

٦ ـ الحذر كل الحذر من الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية، فمنها الخطر العظيم، والسرطان الذي يسري في الجسم لا يدري به الطبيب ولا المريض حتى يتمكن من جسم المريض. وعلى الأخت المسلمة اختيار النافع من ذلك فقط، والاستفادة منه ولكن بالصورة الصحيحة، مع تحذير الناس من السيء منها، فضلاً عن محاولة نشر الوسائل الطيبة منها.

---

(١) مرَّ تخريجه.

العقبة السابعة

عدم التفقه في الدين

فتسمع المسلمة من يُعظم لها العلوم الدنيوية، وأنه يجب عليها أن تنبغ فيها، ولا تترك المجال للفسقة أو الكفار، فالإسلام يحض على ذلك!! ثم لا تسمع من يُحببها في التفقه في دين الله، ولا من يُفهمها أنه الأهم في المقام الأول، وبدونه لا يستقيم طلب العلوم الدنيوية ولا ينتظم.

لا تسمع من أحدٍ، أن التفقه في دين الله تعالى يورث خشية الله تعالى، بخلاف العلوم المادية التي أكثرها يقسي القلب ويضيع الوقت، من هنا كان الجهل بدين الله تعالى من العوامل الأساسية التي تعوق المسلمة عن السير في طريق الله، وإذا سارت لا يزيد من إيمانها، لأنها فقدت العامل الأساسي الذي يجعلها تخشى الله تعالى وتقبل عليه، فتمتثل أمره وتجتنب نهيه، ولا تتعدى حدوده.

ولعل من أخطر مظاهر عدم التفقه في دين الله أمران:

الأول. الفهم الخاطئ لحقيقة الإسلام:

ويتمثل هذا الفهم الخاطيء عند الكثير من النساء في قناعتهن بالصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة بعد النطق بالشهادتين، كحدٍ يقف عنده مفهوم الناس للإسلام.

الثاني. القصور الحاد في فهم معنى الالتزم والاستقامة على الدين:

فمن النساء من تفهم معنى الالتزام والاستقامة على الدين على أنه الحجاب فحسب، حتى ولو كانت غير ملتزمة بشروطه الشرعية الكاملة، وأخرى تفهمه على أنه التزام ببعض أمور الشريعة دون بعضها فحسب، وثالثة من تفهم أنها

مادامت محجبة وتذهب إلى المسجد لحضور دروس العلم وليس عندها منكرات في بيتها مثلاً فهذا هو عين الالتزام ونهايته، ولكن حقيقة الاستقامة على الدين تعني الالتزام بأوامر الشريعة ظاهراً وباطنًا دون توانٍ أو تسويف، بحب تام لله وخضوع.

▪ **كيفية التغلب على هذه العقبة:**

١ ـ معرفة فضل العلم وقدره، وفضل طلبته ومكانتهم عند الله تعالى.

٢ ـ التفقه في دين الله تعالى، لاسيما إن كان من خلال منهج علمي صحيح[1].

٣ ـ الحرص على الرفقة الصالحة من النساء اللائي يجتمعن على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذا سبيل من السبل الموصلة لتحصيل العلم.

٤ ـ الصبر على تعلم العلم والتفقه فيه.

العقبة الثامنة

الخوف

على النفس أو الرزق أو الزوج أو الأولاد أو الوالدين أو غيرهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٧٥)، فحقيقة هذا الخوف إنما هو من الشيطان وجنوده، آملين من وراء ذلك نكوص المستقيمين على الدين، وتراجع المجتهدين في العبادة، وتأخر المجدين في هممهم، ولو أوقعهم الشيطان في الشرك لكان هذا منتهى غايته لعنه الله.

(١) انظري «المنهج العلمي المقترح لنساء المسلمين»، والذي وضعته في بعض كتبي مثل: «هذه هي زوجتي»، و«الكلمات النافعات للأخوات المسلمات».

(الخوف داءٌ قتَّال، إن أصيب به الثقة[1] ضعف ضعفًا عظيمًا، وخارت قواه، ووهت عزيمته، وقد ينزع منه لقب الثقة إن غلبه الخوف؛ إذ من شروط ثقات المسلمين أن يكونوا متوكلين على الله ـ تبارك وتعالى ـ في شؤونهم كلها، والخائف ليس متوكلاً؛ إذ هو يخاف من مجهول المستقبل على نفسه، أو ماله أوعياله، أو وظيفته، فيصبح في هاجس دائم وخوف مستمر قد يملك عليه أرجاء نفسه فينسحب من جنة الدنيا إلى صحرائها، ومن نعيم التوكل إلى جحيم القلق، فينتهي به الحال إلى عجز مطلق مستمر، وذل دائم ـ والعياذ بالله ـ لا يزول إلا بزواله ولا ينتهي إلا بنهايته.

إن الناظر إلى ثقات المسلمين قديمًا وحديثًا ممن نصبوا أنفسهم للإصلاح والتغيير لا يكاد يجد فيهم خائفًا خوفًا مؤديًا به إلى الانقطاع والعجز، إنما قد تعتري أحدهم وساوس ينفيها بقوة توكله وعظيم إيمانه، وكان الله تعالى معه: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ﴾ (سورة طه:٦٨)).

وهذا الخوف يعظم حال الفتن والمصائب، لكنها «سنة الله القديمة في تمحيص المؤمنين وإعدادهم ليدخلوا الجنة وليكونوا لها أهلاً: أن يدافع أصحاب العقيدة عن عقيدتهم، وأن يلقوا في سبيلها العنَت والألم والشدة والضر، وأن يتراوحوا بين النصر والهزيمة، حتى إذا ثبتوا على عقيدتهم لم تزعزعهم شدة ولم ترهبهم قوة، ولم يهنوا تحت مطارق المحنة والفتنة.. استحقوا الجنة؛ لأن أرواحهم قد تحررت من الخوف، وتحررت من الذل، وتحررت من الحرص على الحياة أو على الدعَة والرخاء، فهي عندئذ أقرب ما تكون إلى عالم الجنة، وأرفع ما تكون عن عالم الطين: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا

---

(١) الثقة: يعني به المؤلف الملتزم والملتزمة.

مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (سورة البقرة: ٢١٤)»[1])[2].

*** كيفية التغلب على هذه العقبة:**

١ ـ أن ترضى المسلمة بقضاء الله وقدره، وأن تستسلم لحكمه وأمره، وأن تعلم أن ما يصيب الإنسان من مصائب لم يكن ليخطئها، وأن ما أخطأها منه لم يكن ليصيبها، وأن الأمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوها بشيء لم ينفعوها إلا بشيء قد كتبه الله لها، وإن اجتمعت على أن يضروها بشيء لا يضروها إلا بشيء قد كتبه الله عليها.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة التوبة: ٥١).

وقال أيضًا: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (سورة الحديد: ٢٢).

٢ ـ أن تتذكر المسلمة أجرها ومكانتها عند الله تعالى، إذا هي صبرت وتجلدت أمام ما يصيبها.

قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧).

---

(١) «طريق الدعوة في ظلال القرآن» للأستاذ/ أحمد فائز (ص: ٣٥١-٣٥٢).

(٢) «عجز الثقات» د. محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف، (ص: ١١٤-١١٦).

وعند مسلم عن صُهيب بن سنان أن رسول الله ﷺ قال: «عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمره كله خير، ليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إذا أصابته سرَّاء شكر فكان خيرًا له، وإذا أصابته ضرَّاء صبر فكان خيرًا له».

وقال عمر رضي الله عنه: «ما أصبت بمصيبة إلا وحمدت الله لثلاثة أمور: إنها لم تكن مصيبة بالدين، وإنها لم تكن أعظم مما كانت، وإني احتسبت الأجر بالصبر عليها».

٣ ـ ألا تنسى المسلمة أن الخوف عبادة من العبادات، لا يجب أن تصرف إلا لله تعالى، فإذا تعلق القلب بالله أمنه الله من كل شيء.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٧٣-١٧٥).

الباب الخامس

وسائل الثبات على دين الله

الباب الخامس

وسائل الثبات على دين الله

إنَّ الثبات على دين الله مطلب أساسي لكل مسلمة صادقة، تريد سلوك الصراط المستقيم بعزيمة ورشد، ولأن حاجتها اليوم للوسائل التي تعينها عل الثبات أعظم من حاجتها لها أيام السلف، ولأهمية هذه الوسائل لكل العقبات السابقة وغيرها، أردت أن أختم بها هذه الرسالة، حتى تكون هي الرمق الأخير الذي ينقذ المسلمة بفضل الله، من الوقوع في هاوية الفتن والنكوص على الأعقاب.

- **وهذه الوسائل هي:**

١ - الإقبال على القرآن:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (٣٢) وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾ (سورة الفرقان: ٣٢-٣٣).

فكان القرآن مصدرًا للتثبيت، لأنه يزرع الإيمان ويزكي النفس بالصلة بالله، ولأن تلك الآيات تنزل بردًا وسلامًا على قلب المؤمن، فلا تعصف به رياح الفتنة، ويطمئن قلبه بذكر الله.

(القرآن يُذكر دائمًا بعظمة الله التي لا تُحد، وآيات قدرته في الآفاق والأنفس، حتى يخشع القلب ويستسلم لله.

ويذكر دائمًا أن الله مع الإنسان يراقبه ويحصي عليه أعماله، ثم يحاسبه عليها يوم القيامة، حتى تصبح تقوى الله جزءًا لا يتجزأ من مشاعر القلب، وركيزة ثابتة في الضمير.

وكذلك يوجه القرآن القلب البشري إلى ذكر الله دائمًا في حالة السرَّاء والضرَّاء.

يورد القرآن القصص التي تثبت الإيمان، قصص الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين الذين صبروا على الأذى حتى جاءهم نصر الله، وقصص الكفار الذين كذَّبوا وعاندوا حتى دمَّر الله عليهم بكفرهم.

وأخيرًا يرسم القرآن صورة محببة للمؤمنين وصفاتهم، وما ينتظرهم من الجزاء في الآخرة، وصورًا كريهة منفرة للكافرين وصفاتهم وسوء منقلبهم ومآلهم يظل القرآن يكرر هذه التوجيهات حتى ترسخ في النفس، وحتى يصبح الله حاضرًا في القلب لا يغفل الإنسان عن ذكره، فتستقيم مشاعره، ويستقيم سلوكه، ويصبح ربانيًا ويرزقه الله الطمأنينة والسعادة.

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (سورة الإسراء: ٨٢).

في القرآن شفاء، وفي القرآن رحمة، لمن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان، فأشرقت وتفتحت لتلقى ما في القرآن من روح، وطمأنينة وأمان.

في القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة، فهو يصل القلب بالله، فيسكن ويطمئن ويستشعر الحماية والأمن، ويرضى، فيستروح الرضى من الله والرضى عن الحياة، والقلق مرض، والحيرة نصب، والوسوسة داء، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين.

وفي القرآن شفـاء من الهوى والدنس والطمع والحسد ونـزغات الشيطان. . وهي من آفات القلب تصـيبه بالمرض والضعف والتـعب، وتدفع به إلى التحطيم والبلى والإنهيار، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين.

وفي القرآن شفـاء من الاتجاهات المختلة في الشـعور والتفكير، فـهو يعصم العقل من الشطط والزلل)[1].

٢. التزام شرع الله والعمل الصالح:

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (سورة إبراهيم:٢٧).

قال قتادة: أما الحـياة الدنيا فيثبتهم بالخيـر والعمل الصالح، وفي الآخرة في القبر.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ (سورة النساء:٦٦)، أي على الحق.

وهذا بيِّن، وإلا فـهل نتـوقع ثبـاتًا من الكسـالى القـاعدين عـن الأعمـال الصـالحة، إذا طلَّت الفـتنة برأسهـا وادلهم الخطب؟ ولكن الذين آمنوا وعـملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم صراطًا مستقيمًا.

(قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (سورة محمد:١٧).

---

(١) «تثبيت أفئدة المؤمنين» دكتور/ السيد العفاني (ص: ٤٥٠-٤٥١).

وفي الحديث القدسي: «ما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه....».

الاستقامة على الأمر والنهي.. والاستقامة روح تحيا به الأحوال، وزكاة تربو عليها الأعمال، فلا زكاء للعمل، ولا صحة للحال بدونها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (سورة فصلت: ٣٠)، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سورة هود: ١١٢).

قال وهيب بن الورد المكي: «لا يجد طعم العبادة من هم بمعصية».

وهذا الصحابي الجليل أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب لم يتنطَّف بخطيئة منذ أسلم إلى أن مات.

والربيع بن خثيم تأتي إليه ابنته، فقالت: يا أبتاه، أذهبُ ألعب؟ قال: اذهبي فقولي خيراً، فلا ينطق بكلمة اللعب.

وعبد الله بن عون بن أرطبان يقول عنه خارجة بن مصعب: صحبت ابن عون أربعًا وعشرين سنة، فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة.

وقال طبيب القلوب وهيب بن الورد: لأن أدع الغيبة أحب إليَّ من أن يكون لي الدنيا ـ منذ خُلقت إلى أن تفنى ـ فأجعلها في سبيل الله، ولأن أغض بصري، أحب إليَّ من أن تكون لي الدنيا ـ منذ خُلقت إلى أن تفنى ـ فأجعلها في سبيل الله.

وبشر بن الحارث الحافي قال عنه تلميذه إبراهيم الحربي: «ما عُرِف له غيبة لمسلم».

ويحيى بن سعيد القطان قال عنه بندار: «اختلفت إلى يحيى بن سعيد أكثر من عشرين سنة ما أظنه عصى الله قط».

وابن دقيق العبد يقول: «ما تكلمت كلمة، ولا فعلت فعلاً، إلا وأعددت له جوابًا بين يدي الله عزَّ وجلَّ».

وقال الضياء المقدسي: «سمعت خالي الموفق يقول: من عمري أعرفه ـ يعني العماد المقدسي ـ ما عرفت أنه عصى الله معصية».

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «والله إني إلى الآن أجدد إسلامي كل وقت وما أسلمت بَعْدُ إسلامًا جيدًا»[1].

٣ ـ تدبر قصص الأنبياء ودراستها للتأسي والعمل:

قال تعالى: ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة هود: ١٢٠).

فما نزلت تلك الآيات على عهد رسول الله ﷺ للتلهي والتفكه، وإنما لغرض عظيم، وهو تثبيت فؤاد رسول الله ﷺ وأفئدة المؤمنين معه.

(حين يمر العبد ويستعرض قصص الأنبياء في القرآن، ويرى موكب الإيمان الكريم الطيب الطاهر المبارك الراسخ الثابت الذي يستعلي على التلاشي والانقراض برغم ضراوة المعركة بينه وبين ركب الباطل وجند الشيطان، ويرى المرء ثبات هذا الموكب الطاهر وهو يهدي للبشرية نماذج إيمانية رفيعة لتكون قدوتها، وقممًا إيمانية رائدة لتحاول السير إليها، ينشر نوره وظلاله وطيبه على الوجود فيحلو ويزكو.. يحثون المؤمنين على السير، ويحدون لهم ليأنسوا..

---

(١) «تثبيت أفئدة المؤمنين» (ص: ٤٥٥-٤٥٦).

ويَسَعُونهم بصدورهم وقلوبهم ليتموا الطريق.. ويبقى الموكب الطاهر يسير، وتبقى الطريق سالكة.

يرى الإنسان قول الله عزَّ وجلَّ لنبيه ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (سورة الأحقاف: ٣٥).

يرى صبر خليل الرحمن الذي صابر ورابط، وفيه قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (سورة النجم: ٣٧)، وقال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (سورة البقرة: ١٢٤).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما قام أحد بدين الله كله إلا إبراهيم عليه السلام: قدَّم جسده للنيران، وطعامه للضيفان، وولده للقربان... بأبي هو وأمي من يصبر صبره ويطيق؟!

يأمره الله بجعل ولده وزوجه في مكان قفر، فيطيع، ويأمره بذبح ولده وهو الشيخ الطاعن في السن فيطيع ويهم بذبح ابنه، ولما أُججت النيران لإلقائه فيها صبر وقال: «حسبي الله ونعم الوكيل».

وقبله الصبر الكريم النبيل لنبي الله نوح عليه السلام في الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ ألف سنة إلا خمسين عامًا... يُوقف أنفاسه على الدعوة إلى الله.. في أطول وأكرم صبر عرفه تاريخ البشرية.

وصبر إسماعيل عليه السلام في الحادث الفريد العظيم.. وروعة إيمانه وعظمة تسليمه.. وراء كل ما يتعارف عليه بنو الإنسان يبقى منارة وتثبيتًا للسائرين على الدرب.

يرى المرء صبر رسولنا الكريم ﷺ، وتعرضه للإيذاء الشديد؛ كسرت رباعيته وشج رأسه، وشد الحجر على بطنه من شدة الجوع، وصبره النبيل على إيذاء أهل الطائف له.. حتى أدموا قدميه الشريفتين وسالت منهما الدماء.

ينظر المرء فيرى أبهى صور التوكل لنبينا ﷺ والصحابة بعد أحد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة آل عمران: ١٧٢-١٧٤))[١].

كل هذا من قصص الأنبياء يزيد المسلمة قوةً في إيمانها، وثباتًا على الطريق، ونجاةً من الفتن.

٤. الدعاء:

إذ كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»[٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٦-١٤٨).

(سبحان من جعل خلقه يفزعون في حاجاتهم إليه، ويعولون عند الحوادث والكوارث عليه، سبحان من جعل الدعاء عبادة وقربى، وأمر عباده بالتوجه إليه لينالوا عنده منزلة وزلفى.

---

(١) «تثبيت أفئدة المؤمنين» (ص: ٤٥٦-٤٥٨).

(٢) رواه الترمذي، وهو صحيح «صحيح الجامع» برقم (٧٨٦٤).

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة:١٨٦].

الدعاء يسكب في قلب المؤمن نداوة حلوة، وودًا مؤنسًا، ورضا مطمئنًا، وثقة ويقينًا.. يعيش المؤمن في جناب رضى وقربى ندية، وملاذ أمين وقرار مكين، وهو يدعو من ليس له مثيل ولا نظير.. ينطرح على عتبة العبودية يلوذ بأقصر طريق إلى مولاه.. يلوذ بالدعاء يسأل مولاه بعزه وذله وبغناه وفقره أن يمنَّ عليه بنعمة التثبيت ولا يمنحها عبده إلا هو، ولا يتفضل بها عليه سواه.

قال رسول الله ﷺ: «افضل العبادة الدعاء»[(١)].

وقال ﷺ: «من سرَّه ان يستجيب الله له عند الشدائد والكُرَب فليكثر الدعاء في الرخاء»[(٢)].

والسالك إلى الله على درب الدعاء، وطريق الذل والانكسار، والافتقار إلى الله، وازدراء النفس ورؤيتها بعين الضعف والعجز والعيب والنقص والذم، على طريق سماها الربانيون طريق الطير وهو غاية شمَّر إليها السالكون، وأمَّها القاصدون، وهو طريق أقرب من كل طريق إلى الودود، لا مزاحم فيه، فلانكسار القلب تأثير عجيب في الثبات، وما أقرب الجبر من هذا القلب المكسور، وما أدنى النصر والرحمة والرزق منه، وما أنفع هذا الذل له وأجداه عليه، وذرة من هذا ونَفَس منه أحب إلى الله من طاعات أمثال الجبال من المدلين المعجبين بأعمالهم وعلومهم وأحوالهم.

---

(١) صحيح، رواه الحاكم في «المستدرك» عن ابن عباس، وابن عدي عن أبي هريرة، وابن سعد بن النعمان ابن بشير، وصححه الحاكم، وأقره الذهبي، وصححه السيوطي، والألباني في «صحيح الجامع» (١١٢٢).

(٢) حسن، رواه الترمذي، والحاكم عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٩٠).

وأحب القلوب إلى الله سبحانه قلب قد تمكنت منه هذه الكسرة، وملكته هذه الذلة، فهو ناكس الرأس بين يدي الله، لا يرفع رأسه حياءً من الله.

قيل لبعض العارفين: أيسجد القلب؟ قال: نعم يسجد سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء. فهذا سجود القلب، فقلب لا تباشره هذه الكسرة فهو غير ساجد السجود المراد منه.

وإذا سجد القلب لله ـ هذه السجدة العظمى ـ سجدت معه جميع الجوارح، وعنا القلب للحي القيوم، وخشعت الجوارح والأصوات كلها، وذل العبد واستكان، ووضع خدَّه على عتبة العبودية، ناظراً بقلبه إلى ربه ووليه نظر الذليل إلى العزيز الرحيم، فلا يُرى إلا متملقًا لربه خاضعًا له، ذليلاً مستعطفًا له يقول: كيف أُغضِبُ مَنْ حياتي في رضاه؟ وكيف أعْدِلُ عمَّن سعادتي وفلاحي وفوزي في قربه وحماه؟!

وما الظن بمن هو أرحم بعبده من الوالد بولده، ومن الوالدة بولدها؟ إذا فرَّ عبده إليه، وهرب من عدوه إليه، وألقى نفسه طريحًا ببابه، يمرغ خده في ثرى أعتابه، باكيًا بين يديه، يقول: يا رب، يا رب! ارحم من لا راحم له سواك، ولا ناصر له سواك، ولا مأوى له سواك، ولا مغيث له سواك، مسكينك وفقيرك، وسائلك، ومؤملك، ومرجيك، لا ملجأ له ولا منجا له منك إلا إليك، أنت معاذه وملاذه.

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره ... ولا يهيضون عظمًا أنت جابره

إن دعاءً حُفَّ بآدابه يجزم به صاحبه ويوقن بالإجابة ويلح فيه على مولاه وتعظم فيه المسألة، ويدعو فيه العبد ربه باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ـ لحري أن يستجاب كرمًا من الله وفضلاً ومنَّة.

قال رسول الله ﷺ: «إذا تمنَّى أحدكم فليُكثر، فإنما يسأل ربه»[١].

فيعظم العبد المسألة ويسأل ربه باسمه الأعظم الثبات على دينه)[٢].

٥ـ ذكر الله:

فهو يرضي الرحمن، ويطر الشيطان، ويزيل الهم والغم، ويشرح الصدر.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (سورة الأنفال: ٤٥)، فجعله الله تعالى من أعظم ما يعين على الثبات في الجهاد.

■ **ومن فوائد الذكر:**

(* به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكُرُبات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورءوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون.

* الذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة، وكما أن الجنة قيعان، وهو غراسها، فكذلك القلوب بور وخراب، وهو عمارتها وأساسها.

* وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، يحفظ الله به على المؤمن كل شيء، ويكون عوضًا له عن كل شيء.

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» عن عائشة، وصححه المناوي (١/ ٣٢٠) «فيض القدير»، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٧).

(٢) المصدر السابق (ص: ٤٧٣-٤٧٥).

* به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار.

* وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته.

* وبالذكر يصرع العبد الشيطان، كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان.

قال بعض السلف: «إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صرعه كما يُصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسه الإنسي»[1].

* والذكر يجمع المتفرِّق، ويفرِّق المجتمع، ويقرِّب البعيد، ويبعد القريب، فيجمع ما تفرَّق على العبد من قلبه وإرادته، وهمومه وعزومه، والعذاب كل العذاب في تفرقها وتشتتها عليه، وانفراطها له، والحياة والنعيم في اجتماع قلبه وهمه، وعزمه وإرادته.

* ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على فوات حظوظه ومطالبه.

* ويفرِّق أيضًا ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره.

* ويفرِّق ما اجتمع على حربه من جند الشيطان، فإن إبليس لا يزال يبعث له سرية بعد سرية، وكلما كان أقوى طلبًا لله سبحانه وتعالى، وأمثل تعلقًا به وإرادة له، كانت السرية أكثف وأكثر وأعظم شوكة، بحسب ما عند العبد من مواد الخير والإرادة ولا سبيل إلى تفريق هذا الجمع إلا بدوام الذكر.

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٢٢).

* ويقرِّب إليه الآخرة، فلا يزال يلهج بالذكر حتى كأنه قد دخلها وحضرها.

* والذكر ينبه القلب من نومه، ويوقظه من سِنَتِه، والقلب إذا كان نائمًا فاتته الأرباح والمتاجر، وكان الغالب عليه الخسران، فإذا استيقظ وعلم ما فاته في نومته، شد المئزر، وأحيا بقية عمره، واستدرك ما فاته، ولا تحصل يقظته إلا بالذكر، فإن الغفلة نوم ثقيل.

* والذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمَّر إليها العابدون.

* والذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد، ويعدل عتق الرقاب والحمل على الخيل في سبيل الله، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله عزَّ وجلَّ، وهو خير الأعمال على الإطلاق، كما قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الوَرِق والذهب، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «ذكر الله»[1].

* وذكر الله من أعظم أسباب الثبات على الطريق قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة الأنفال: ٤٥)، وفي موكب الإيمان التاريخي نجد الذكر أكبر العون في قلوب العصبة المؤمنة.

يواجه فرعون بالتهديد المروِّع البشع الطاغي السحرة بعد إيمانهم فقالوا له: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (سورة الأعراف: ١٢٦).

---

(١) صحيح، رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم عن أبي الدرداء، وصححه الحاكم والنووي، والألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٢٩).

* وواجهت العصبة المؤمنة القليلة جالوت وجنوده وتحصنوا بالذكر ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة البقرة: ٢٥٠).

▪ والمؤمنون على مدار التاريخ حصنهم الذكر ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٦-١٤٧).

▪ والصحابة الأبرار بعد ما أصابهم القرح في أحد فلما دُعوا إلى الخروج ثاني يوم كان حاديهم قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (سورة آل عمران: ١٧٣).

* إن ذكر الله اتصال بالقاهر القوي الذي لا يغلب، وثقة بالله الذي ينصر حزبه وأولياءه، ولذا لا ينسى في أحلك المواقف فهو أعظم معين للثبات)[١].

٦ ـ الالتفات حول العناصر المثبتة:

كالعلماء والصالحين والدعاة، ولنا أن نتأمل ما قاله ابن القيم ـ رحمه الله ـ عن دور شيخه شيخ الإسلام في «التشبيت»: (وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله عنا وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، وآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها)[٢].

---

(١) «تثبيت أفئدة المؤمنين» (ص: ٤٧٠-٤٧٣).

(٢) «الوابل الصيب».

(▪ يصحب الإنسان في سيره إلى الله عزَّ وجلَّ من يحمله في سيره إلى الله عزَّ وجلَّ ويطير به طيرانًا لا منْ يحمله هو ويعوقه في سيره إلى الله.

ولا تتخذ بالسير رفقة قاعد ▪▪▪ ودعه فإن الشوق يكفيك حاملا

ومن أراد الثبات يحتاج إلى قمم تثبته عند النوازل والخطوب.

▪ انظر إلى الصحابة وهم أفذاذ الرجال والقمم السامقة كيف احتاجت إلى الصديق ليعلمها الثبات عند موت رسول الله ﷺ وفتنة الردَّة، وانظر إلى الأمة كيف احتاجت إلى الإمام أحمد يتحمل عنها عبء هذه المحنة العظيمة.. حتى قال علي بن المديني: «إن الله أعزَّ الإسلام برجلين لا ثالث لهما: أبو بكر يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة».

▪ وابن تيمية تكالب عليه أهل البدعِ وسُجن فما رجع، خوفوه السلطان، وأخرجوه من الأوطان، فما لانت له عريكة، وما ذابت له سبيكة، كان يرهب الملوك، وهو الذي يتواضع لكل مسكين وصعلوك، له ثبات كأن الموت عنده عطبة، والهلاك مطية، والمنية هدية.. بطل هزَّ الدول، وأتبع القول العمل.

رأيته فرأيت الناس في رجل ▪▪▪ كالفجر في شرف والدُّرِّ في صدفِ
حروفُه كشعاع الشمس لوْ قطرت ▪▪▪ ألفاظهُ قلتَ هذا الزهر في ترفِ

▪ ما نقول في رجل جنته في صدره: قرآنه وذكره، أينما راح فهي معه، يقول: «ما يصنع أعدائي بي.. أنا جنتي وبستاني في صدري، أينما رحت فهي معي.. إن معي كتاب الله وسنة رسوله.. إن قتلوني فقتلي شهادة، وإن نفوني عن بلدي فنفي سياحة، وإن حبسوني فأنا في خلوة مع ربي».

▪ يقول عنه ابن القيم: «كان أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا

الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة»[١].

* يقول يحيى بن معاذ الرازي: «ولي الله ريحان في الأرض، فإذا شمه المريدون ووصلت رائحته إلى قلوبهم اشتاقوا إلى ربهم»[٢].

* قال رسول الله ﷺ: «أولياء الله الذي إذا رُئوا ذُكر الله تعالى»[٣].

إن كان هذا في رؤية وجوههم فكيف بجوارحهم وسماع كلامهم؟!

* قال عبد الله بن المبارك شيخ الإسلام: «إذا نظرت إلى الفضيل جدَّد لي الحزن، ومَقَتُّ نفسي، ثم بكى»[٤].

* وقال الفضيل: «نظر المؤمن إلى المؤمن يجلو القلب».

فطوبى لمن اتخذ ذوي الهمم العالية أعوانًا، وخلط نفسه مع الأبرار وصحب أهل المعاني، وترك أصحاب الدعاوي.

ولدوام الصحبة أثر: هذا الطاووس يحب البساتين، فهو يوافق الأشجار، إذا ألقت ورقها ألقى ريشه، فإذا اكتست اكتسى.

تأثير الصحبة لا يخفى، أما ترى دود البقول خضر؟

تشبه بالموقنين تعدّ في الجملة.. لو سرت في حزب الثابتين على الدرب الصادقين مع الله لعرفوا لك حق الصحبة.. إن وقعت ببعضهم حملك إلى

---

(١) «الوابل الصيب» (ص:٧٦).

(٢) «تنبيه المغترين» للشعراني (ص:١٧).

(٣) حسن: رواه الحكيم عن ابن عباس، والطبراني في «الكبير»، والمروزي، وأبو نعيم، والضياء، وابن المبارك عن سعيد بن جبير مرسلاً، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٥٥٤).

(٤) «السير» (٨/ ٤٣٨).

أرضهم، إن صدقت في طلبهم فبادر، ولا تتصعب طريقهم فالمعين قادر، وسل فمولاك مولاهم.

فلا تلتفت إلاَّ إلى من دلَّك على الله وعلى الطريق الموصلة إليه، واسلك جادة القوم لعلَّ مشاعلهم تلوح لكم، تعلَّق بغبارهم لعل الحادي ينوه بكم، صوتوا بالقوم عسى يقف بعض الساقة لكم، ابكوا على تأخركم وترددكم لعل عطف الرحمة تنعطف نحوكم.

ترفَّقْ رفيقي إن بدت نار أرضهم ... أم الوجد يذكي ناره ويثيرها)[1]

٧- التأمل في نعيم الجنة وعذاب النار وتذكر الموت:

(من علم أن الأنفاس تعد، وأن النَّفَس قد يخرج ولا يعود، وأن العين قد تطرف ولا تطرف الأخرى إلا بين يدي الله عزَّ وجلَّ، وأن يومه أو ليلته آخر ما بقي له من الدنيا أعطى المجهود من نفسه يومه وليلته، وأحسن عمله، واستقام على الدرب بعد يقينه أن العبد يحشر ويُبعث على ما مات عليه، فيجتهد في تصحيح المعاملة على أحسن ما تكون، وهو يوقن أيضًا أن العبرة بالخواتيم فيضع نصب عينيه أن لا يفضحه ميراثه يوم موته.

ولذا نصح رسول الله ﷺ بالإكثار من ذكر هادم اللذات من أجل هذا.

وكان الربيع بن خثيم قد حفر لنفسه قبرًا في داره ينزل إليه في اليوم مرات، ثم يخرج ويقول: «يا ربيع ها قد خرجت فاعمل لقبر إن نزلت فيه تقول: «ربِّ ارجعون»، ولا تجاب إلى يوم القيامة»، وكان أحد السلف يقف على شفير القبر ويقول: «أنت والله بيتي حقًا، وإن استطعت أن أعمرك لأفعلن».

---

(١) «تثبيت أفئدة المؤمنين» (٤٩٩-٥٠١).

* **ومن وسائل الثبات تذكُّر الجنة أبداً:**

فـالجنة بلاد الأفـراح، وسلوة الأحـزان، ومـحط رحـال المؤمنين، والنفس مفطورة على عـدم التضحـية والعمل والثـبات إلا بمقابل يُهـوِّن عليها الصـعاب ويذلل لها ما في الطريق من عقبات ومشاق.

فالذي يعلم الأجـر تهون عليه مشـقة العمل، وهو يسـير ويعلم بأنه إذا لم يثبت فسـتفوتـه جنـة عرضـها السماوات والأرض، ثم إن النفس تحـتاج إلى ما يرفعها من الطين الأرضي ويجذبها إلى العالم العلوي.

* وكان النبي ﷺ يسـتـخدم ذكر الجنة في تثبيت أصحـابه، ففي الحديث الحسن: مرَّ رسول الله ﷺ بياسر وعمَّار وأم عمار وهم يؤذون في الله تعالى، فقال لهـم: «**صبراً آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة**»[١].

* وقال رسـول الله ﷺ : «**ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها**»[٢].

وانظر إلى من اشتـاقوا إلى الجنة بأي عـمل ودَّعوا الدنيـا: أنس بن النضر، وجعفر الطيار، وحرام بن ملحان، وعمير بن الحُمَام، وعبد الله ابن رواحة.

* **وذكر النار:**

ينصب الأبدان ويذبل الأرواح خوفًا من سعيرها وزقومها فيحول بين المؤمنين وبين التردد وعدم الاستـقامة خوفًا من حجبهم عـن مولاهم وفتنتهم على النار،

---

(١) حسن صحيح، رواه الحاكم (٣/ ٣٨٣)، وهو حديث حسن صحيح. انظر «تخريج فقه السنة» للألباني (ص: ١٠٣).

(٢) حسن، أخـرجه التـرمذي عن أبي هـريرة، والطبراني في «الأوسط» عـن أنس، وحسنه الألبـاني في «الصحيحة» (٩٥٣).

وأخبار الربيع بن خثيم، وطاووس، وشداد بن أوس، ومحمد بن المنكدر، وعلي ابن الفضيل وسفيان الثوري، وابن المبارك لا تخفى على أحد في الدنيا)[١].

فالمسلمة التي تعلم الأجر، يهون عليها مشقة العمل وهي تسير، وتعلم بأنها إذا لم تثبت، فسيفوتها جنة عرضها السموات والأرض، ولذلك كان النبي ﷺ يستخدم ذكر الجنة في تثبيت أصحابه.

فهذا رسول الله ﷺ كان يمر بياسر وعمَّار وأمه وهم يؤذون في الله تعالى فيقول لهم: «صبراً يا ياسر، صبراً يا ياسر، فإن موعدكم الجنة»، وكذلك تذكر الموت يحمي المسلمة من التردي ويوقفها عند حدود الله فلا تتعداها، ولذلك قال ﷺ: «أكثروا من ذكر هاذم اللذات»[٢].

٨ ـ قصر الأمل:

▪ وقصر الأمل دافع لحسن العمل.. قال الربيع بن أبي راشد: لو فارق ذكر الموت قلبي لخشيت أن يفسد.

▪ قال الربيع: لو غفل قلبي عن ذكر الموت ساعة واحدة لفسد قلبي.

▪ وقال القعقاع بن حكيم: «قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة! فلو أتاني ما أحببت تأخير شيء عن شيء»[٣].

---

(١) «تثبيت أفئدة المؤمنين» دكتور/ سيد العفاني (ص: ٥٢٢-٥٢٣).

(٢) رواه الترمذي، وصححه «إرواء الغليل» للألباني (٣/ ١٤٥).

(٣) «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٦٦٣).

* وقال سفيـان الثوري: «رأيت شيخًا في مسجـد الكوفة يقول: أنا في هذا المسجـد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن ينزل بي، فلو أتاني مـا أمرته بشيء ولا نهيته عن شيء»[1].

* قال داود الطائي في جنازة تدفن: «من خـاف الوعيد قَصر عليه البـعيد، ومن طال أمله ضعف عمله، وكل ما هو آت قريب».

* وقال الحسن: ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل.

* وقال بعض الحكماء: الأمل سلطان الشيطان على قلوب الغافلين.

* وقال أعرابي: مضى أمسُك، وعسى غداً لغيرك.

* وقال الفضيل بن عياض: إنما أمس مثل، واليوم عمل، وغداً أمل.

* وقال يحيى بن معاذ: أدم جهازك، وهيء زادك، وتهيأ للعرض على ربك جلَّت عظمته.

* وقال: المغبـوط من ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قـبره قبل أن يدخله، وأرضى ربه قبل أن يلقاه.

* ولما عوتب عطاء السلمي في الرفق بنفسه قال: أتأمرونني بالتقصير والموت في عنقي، والقبر بيتي، وجهنم أمامي، ولا أدري ما يصنع بي ربي عزَّ وجلّ؟!

* قال حـاتم الأصم: سمعت شـقيقًا يقـول: استعـد إذا جاءك الموت أن لا تسأل الرجعة وقل لنفسك كل صباح: آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر، مثّل لبصر قلبك حضور ملك الموت وأعوانه لقبض روحك، فانظر كيف تكون.

---

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٦٦٣).

* قال ابن المبارك: «استعد للموت ولما بعد الموت».

اخي.. أنذرتك (سوف)؛ فإنها جند من جنود إبليس.

فالأخت المسلمة كلما قصر أملها في الحياة، وأيقنت بالرحيل ولقاء الغني الحميد ثبتت على الطريق.

٩ ـ التوكل على الله عزَّوجلَّ:

* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو انكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا[(١)]»[(٢)].

▪ وأهم الرزق رزق القلوب فهو أولى من رزق الأبدان، ومنه الثبات على الدين، وإن كان التوكل مركب من مجموع أمور. منها معرفة العبد بالرب وصفاته من قدرته وكفايته، وقيوميَّته، وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته، ولا يصح توكل العبد حتى يصح له توحيده، بل حقيقة التوكل توحيد القلب، واعتماد القلب على الله واستناده إليه وسكونه إليه، وحسن الظن بالله عزَّ وجلَّ، واستسلام القلب له، وانجذاب دواعيه كلها إليه.

* وانظر إلى أعلى التوكل وهو توكل الأنبياء في نصرة دين الله ودفع فساد المفسدين ـ وهو توكل ورثتهم أيضًا ـ كيف يجعل الإنسان جبلاً راسيًا شامخًا.

---

(١) خماصًا، أي ضامرة البطون من الجوع، وبطانًا، أي ممتلئة البطون.

(٢) صحيح، أخرجه ابن المبارك في «الزهد»، والطيالسي في «مسنده»، والترمذي، وابن ماجه والنسائي في «الكبرى»، وأبو نعيم في «الحلية»، والبغوي في «شرح السنة»، وأخرجه أحمد في «المسند»، والفسوي في «المعرفة»، وابن حبان، والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الشعب»، وأخرجه أبو نعيم في «أخبار أصفهان»، وصححه المناوي في «التيسير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٥٤)، و«الصحيحة» (٣١٠).

* ولله در الخليلين إبراهيم ومحمد - صلى الله عليهما وسلم -: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «(حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (سورة آل عمران: ١٧٣).

■ عندما يتوكل القلب على الله، ويتصل بالله، وينفض يده من كل الأشباح الزائفة والأسباب الباطلة للنصرة والحماية والالتجاء، ويتوكل على الله وحده يأتي نصر الله وفرجه.

* ويتوكل المؤمن على الله وحده، وهو مطمئن إلى موقفه وطريقه، ماليء يديه من وليه وناصره، يعلم أن الله الذي يهدي السبيل لابد أن ينصر ويعين ويثبت، يحس القلب أن عناية الله سبحانه تقود خطاه وتهديه السبيل.

■ وهذه حقيقة تستشعرها القلوب، حقيقة الارتباط في قلب المؤمن بين شعوره بهداية الله وبين بديهية التوكل عليه.

* قال تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (سورة إبراهيم: ١٢).

* تستشعر القلوب التي تسير على درب الله وترجو رحمة الله وعنايته وهي تفتح كوى النور، فتبصر الآفاق المشرقة، وتستروح أنسام الإيمان والمعرفة، وتحس الأنس والقربى، فلا تتخلى عن دربها والتزامها، وماذا يخاف القلب الموصول بالله على هذا النحو؟!

* ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا﴾، لا نتزحزح، ولا نضعف، ولا نتراجع، ولا نهن، ولا نتزعزع، ولا نشك، ولا نفرط، ولا نحيد.

* ولعل في الموقف الباهر لنبي الله هود ﷺ الفهم كل الفهم لمعنى التوكل في أبهى صوره: ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (سورة هود: ٥٤-٥٦).

■ حين يستيقن العبد أن ربه آخذ بناصية كل دابة، وأن الناس - كل الناس - إن هم إلا دواب من الدواب، وأن الله عزَّ وجلَّ يُعطي ويسلب حين يشاء كيف يشاء بعموم قدرة، وكمال ملك، وتمام حكمة وعدل وإحسان، يملك العبد حينئذ أن يقف بإيمانه في استعلاء أمام كل قوى الأرض ويرسخ إيمانه ويشتد ويثبت.

* انظر إلى أم إسماعيل - رحمها الله - تقول لخليل الرحمن إبراهيم حين وضعها عند البيت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا.

فالمسلمة إذا ما توكلت على الله تعالى حق توكله، وأيقنت أن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ثبتت على الطريق.

١٠ - *الصبر*:

* قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (سورة السجدة: ٢٤).

* قال ابن تيمية: «إنما تُنال الإمامة في الدين بالصبر واليقين».

* وقال سفيان بن عيينة: «لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رؤوسًا».

* «طالب الله والدار الآخرة لا يستقيم له سيره وطلبه إلا بحبس قلبه في طلبه ومطلوبه، وحبسه عن الالتفات إلى غيره، وحبس لسانه عما لا يفيد،

وحبسه على ذكر الله وما يزيد في إيمانه ومعرفته، وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات، وحبسها عن الواجب والمندوبات، فلا يفارق الحبس حتى يلقى ربه فيخلصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه، ومتى لم يصبر على هذين الحبسين وفرَّ منهما إلى فضاء الشهوات، أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند الخروج من الدنيا، فكل خارج من الدنيا إما متخلص من الحبس وإما ذاهب إلى الحبس»[1].

وقُل ساعدي يا نفسُ بالصبر ساعة ▪▪▪ فعند اللقا ذا الكدُّ يصبح زائلا
فما هي إلا ساعة ثم تنقضي ▪▪▪ ويصبح ذو الأحزان فرحان جاذلا

▪ والصبر مع الله عزَّ وجلَّ هو أشد أنواع الصبر وأصعبها، وهو صبر الصديقين يدور العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية، صابرًا نفسه معها، سائرًا بسيرها، مقيمًا بإقامتها، يتوجَّه معها أين توجهت ركائبها، وينزل معها أين استقلت مضاربها، فهو قد جعل نفسه وقفًا على أوامره ومحابه.

▪ قال الجنيد: «السير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن، وهجران الخلق في جنب الله شديد، والمسير من النفس إلى الله صعب شديد، والصبر مع الله أشد».

▪ والصبر مع الله وفاء، لا يزيغ القلب عن الإنابة، ولا الجوارح عن الطاعة، فتُعطي المعية حقها من التوفية.

▪ والصبر من آكد المنازل في طريق المحبة وألزمها للمحبين، وهم أحوج إلى منزلته من كل منزلة، وبقوة الصبر على المكاره في مراد المحبوب يُعلم صحة محبته.

---

(١) «الفوائد» لابن القيم (ص: ٧٢).

* ويصبر الإنسان عن المعصية بمطالعة الوعيد: إبقاء على الإيمان وحذراً من الحرام، وأحسن منها الصبر عن المعصية حياء.

* ويصبر الإنسان عن التقاعس لنصرة دين الله ▪ يصبر عن التردد والشك، يصبر عن كل معصية إجلالاً لله تبارك وتعالى أن يُعصى وهو يرى ويسمع، ويترك المعاصي حبًا لله عزَّ وجلَّ، وأفضل الترك ترك المحبين، ويترك المعصية ظفرًا بعدوه، وقهر الشيطان له حلاوة وسمرة وفرحة أي فرحة عند الصابرين.

* يصبر عن المعصية وينقاد إلى الجاذب الأعلى، ويصعد درجات وترفرف روحه إلى المحل الأعلى وإلى الرفيق الأعلى.

* ويصبر على الطاعة وهو أفضل أنواع الصبر يصبر على البذل في طاعة الله، ويصبر على التبذل لله في مرضاته وطاعته.

* ويصبر على البلاء وهو بضاعة الصديقين.. يصبر على الجوع والفقر والحرمان والإيذاء.. يصبر على الفتن ويسأل ربه الثبات.

* فتنة الغربة والاستيحاش بالعقيدة، حين ينظر المؤمن فيرى كل ما حوله وكل ما حوله غارقًا في تيار الضلالة، وهو وحده موحش غريب طريد.

* فتنة أن يجد المؤمن دولاً وأممًا غارقة في الرذيلة، والكفر، وهي مع ذلك راقية في مجتمعها، متحضرة في حياتها وهي غنية قوية، وهي مشاقة لله!

* ويصبر على فتنة إقبال الدنيا على المبطلين، ورؤية الناس لهم ناجحين مرموقين، وتهتف لهم الدنيا، وتتحطم في طريقهم العوائق، وتُصاغ لهم الأمجاد، وتصفو لهم الحياة، وهو مهمل منكر لا يُحس به أحد، ولا يحامي

عنه أحد، ولا يشعر بقيمة الحق الذي معه إلا القليلون من أمثاله الذين لا يملكون من الدنيا شيئًا.

* ويصبر المؤمن وهو يرى الشر نافشًا، والخير ضاويًا، لا يجد نصيرًا من أبناء الأرض يدافع عنه.

■ وفتنة النفس والشهوة، وجاذبية الأرض، والدعة والاطمئنان والرغبة في المتاع والسلطان، وفتن الشبهات، وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال.

■ وبالصبر تصهر النفس، وينفي عنها الخبث وتثبت على الطريق.

* الصبر مع نفسك، والمصابرة بينك وبين عدوك، والمرابطة لزوم ثغر القلب لئلا يهجم عليه الشيطان، فيملكه أو يخربه أو يُشعثه"[1].

فهلَّا عرفت أيتها المسلمة قيمة الصبر وأهميته، وأنه زاد لابد منه لكل مسلمة سائرة إلى الله، وهلَّا أيقنتي أنه من الوسائل المهمة للثبات على الدين.

أسأل الله تعالى أن ينفع كل مسلمة ومسلم بهذه الرسالة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

عصام بن محمد الشريف

عفا الله عنه

الأربعاء ٦ من ذي الحجة ١٤٢٤هـ

الموافق ٢٠٠٤/١/٢٧م

---

(١) الأسباب (٨، ٩، ١٠) مستفادة من «تثبيت أفئدة المؤمنين» (ص: ٤٦٢-٥٢١) باختصار.

الفهرس

الموضــوع	صفحة
مقدمة فضيلة الشيخ/ محمد صالح المنجد	٥
مقدمة الطبعة الثالثة	٧
مقدمة الطبعة الأولى	٩
الباب الأول	
سلعة الله الغالية	١٣
(فصل) خسارة من باع الجنة	١٩
الباب الثاني	
حُفت الجنة بالمكاره	٢٥
(فصل) في فوائد الابتلاء	٢٩
(فصل) نماذج من سير النساء المجاهدات	٣١
الباب الثالث	
فطوبى للغرباء	٤٥
الباب الرابع	
العقبات وكيفية التغلب عليها	٥١
العقبة الأولى ـ قرينات السوء	٥٣
(فصل) أثر الصحبة الطيبة	٥٦
(فصل) أثر الصحبة السيئة	٦٠
العقبة الثانية ـ ضغط الأهل والأقربين	٦٧
العقبة الثالثة ـ الدنيا	٧٥

الموضـــوع	صفحة

(فصل) تذكـرة ٧٧
العقبة الرابعة ـ الـزواج ٧٩
(فصل) نماذج رائعة لنساء متزوجات ٨٣
العقبة الخامسة ـ اتبـاع الهـوى ٨٥
العقبة السادسة ـ عقلية المجتمع بعللها وأمراضها ٨٩
العقبة السابعة ـ عـدم التفقه في الدين ٩٢
العقبة الثامنة ـ الخـوف ٩٣
الباب الخامس
وسائل الثبات على دين الله ٩٧
١ ـ الإقبال على القرآن ٩٩
٢ ـ التزام شرع الله تعالى والعمل الصالح ١٠١
٣ ـ تدبر قصص الأنبياء ١٠٣
٤ ـ الدعـاء ١٠٥
٥ ـ ذكر الله ١٠٨
٦ ـ الالتفاف حول العناصر المثبتة ١١١
٧ ـ التأمل في نعيم الجنة وعذاب النار وتذكر الموت ١١٤
٨ ـ قصـر الأمـل ١١٦
٩ ـ التوكل على الله عزّ وجلّ ١١٨
١٠ ـ الصـبر ١٢٠
الفهرس ١٢٤

من أحدث إصدارات دار الإيمان للمؤلف

[١] هذه هي زوجتي .

[٢] هذا هو زوجي .

[٣] أشكو إليك زوجي .

[٤] أشكو إليك زوجتي .

[٥] رسالة إلى الأزواج العازمين على التعدد .

[٦] عقبات في طريق الأخوات .

[٧] حوار مع المتبرجات .

[٨] مواقف نسائية خالده .

[٩] موقف المرأة الصالحة من تعدد الزوجات .

[١٠] الحسرات في ذم المنكرات .

تم بحمد الله

من اصداراتنا للمؤلف

- هذا هو زوجي.
- هذه هي زوجتي.
- أشكو إليك زوجي.
- أشكو إليك زوجتي.
- حوار مع المتبرجات.
- مخالفات في بيوتنا.
- مواقف نسائية خالدة.
- عقبات في طريق الأخوات.
- عظات وعبر في بيت النبوة.
- الكلمات النافعات للأخوات المسلمات.
- موقف المرأة الصالحة من تعدد الزوجات.
- النساء أكثر أهل النار (الأسباب وطرق النجاة)

التوزيع في القاهرة: العربية للتوزيع خلف الجامع الأزهر
شارع الإمام محمد عبده - أول درب الأتراك - ت: ٠٠٢٠٢/٢٥١٢٠٦٢١

داركم المتميزة

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٠٥٤١١٩١٠ - ٠٢-٥٢٢٢٠٠٢
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

دار القمة لتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي

0 001986 509266